سلسلة عجائب ٦

أعجب الكائنات

راجي عنايت

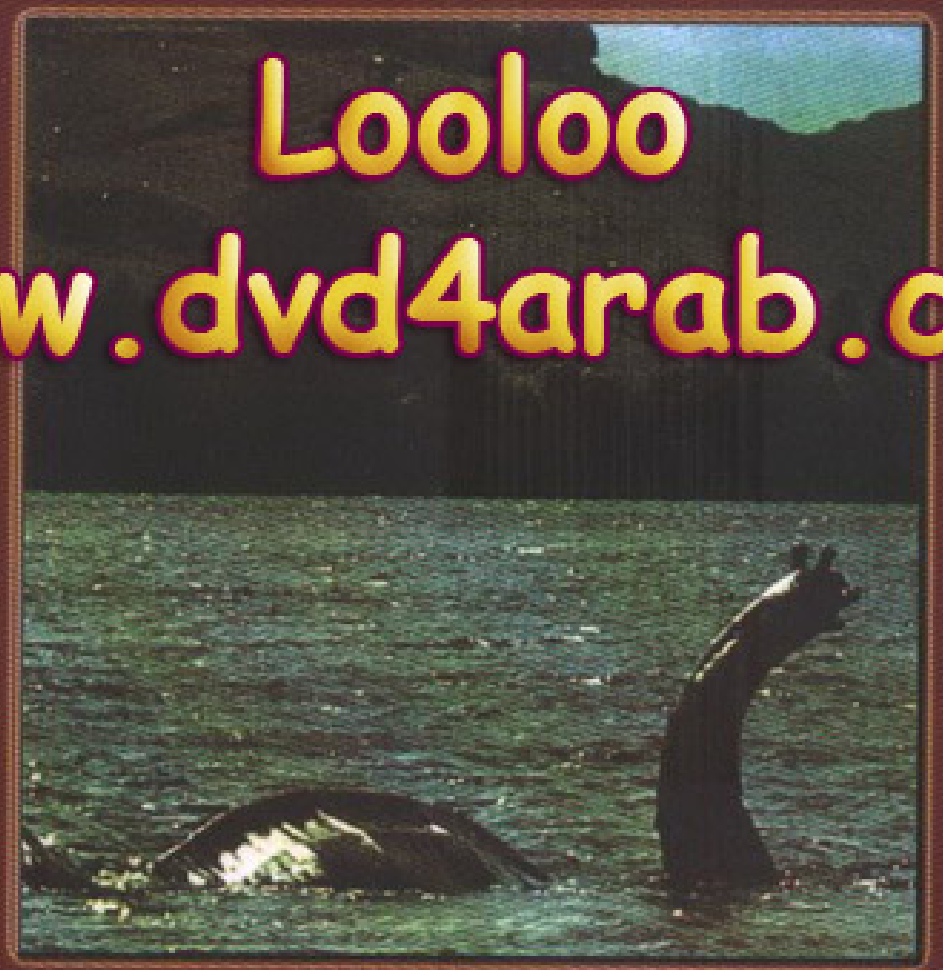

Looloo
www.dvd4arab.com

نهضة مصر

مقدمة

الوحوش.. أساطير وحقائق!

قلة من علماء الأحياء هم الذين يعلنون - بعناد - أن العالم قد كشف اليوم عن جميع أسرار الحيوانات.. وأن تلك التى ما زالت تختفى فى الأدغال، أو الجبال، أو أعماق البحار والبحيرات، والتى قد نقرأ عنها فى الروايات والأساطير، ليست كائنات حية لم يتم الكشف عنها بعد.

لقد اختلطت الملاحظات التاريخية لرواد المستكشفين بالأساطير الشائعة حول التنين وعروس البحر، بحيث أصبح البحث العلمى الموثّق حول كائنات حية لم يتم الكشف عن كامل حقيقتها حتى اليوم، مجرد خلط للحقائق العلمية بالخرافات.

لعل «التنين»، هو أكثر الوحوش والحيوانات الأسطورية شهرة. وقد ظل لقرون طويلة يلعب دورًا كبيرًا فى الفنون والأساطير، وفى بعض العقائد الدينية.. وهو مخلوق رمزى، استمد مواصفاته من الجمع بين خصائص عدد من الأحياء المعروفة.. له جسم أشبه بالسحالى الضخمة، وجناحان أشبه بأجنحة الخفافيش، ورأس قريب من رأس التمساح، بينما يشبه ذيله ذيل الثعابين.

أما عروس البحر، فقد كانت المناظر البحرى للتنين الأرضى.. لكنها كانت تعتمد على الإغواء أكثر من الافتراس!.. لقد تعددت الروايات حول عروس البحر التى تظهر للبحارة وسط البحار،

وتغويهم بالهبوط معها إلى القاع. ويبدو أن أصل هذه الأسطورة الشائعة، يعود إلى سمكة «ماناتى»، فاتحة اللون، ذات الظهر والثديين ذات الشبه بالمرأة، مع نصف السمكة السفلى.

لقد كانت هذه الكائنات الخرافية، أو الخيالية، مصدر إيحاء لعديد من الفنانين والأدباء.

لكننا هنا نبحث عما توافر من حقائق ودلائل؛ عن كائنات حية واقعية، استطاع الطموح العلمى أن يكشف عن جانب منها.. وما زال العلماء ـ اعتمادًا على الوسائل التكنولوجية المستحدثة ـ يسعون إلى الكشف عن حقيقتها الكاملة..

دعونا نستعرض معًا، ما تم الوصول إليه من حقائق حول كائنات من بينها:

- وحوش أعماق البحار؛ كالحبار العملاق، وثعبان البحر الهائل.
- وكائنات البحيرات العميقة؛ مثل الوحش «نيسى» فى بحيرة نيس (لوخ نيس) بإسكتلندا، والوحش «تشامب» فى أمريكا الشمالية، و«أوجو بوجو» فى كندا، وغير ذلك من الوحوش الضخمة فى البحيرات العميقة بالسويد وأيرلندا ونيوزيلندا وروسيا وأستراليا.
- ثم لغز الحلقة المفقودة، المعروف باسم «إنسان الثلج البغيض».

راجى عنايت

وحوش أعماق البحار

هل أخطأنا عندما أطلقنا اسم «الأرض» على الكوكب الذى نعيش فوقه؟.. ألم يكن الأجدر بنا أن نطلق على كوكبنا اسم «البحر»؟!.. فأكثر من ثلثى سطح كوكبنا تغطيه البحار والمحيطات.. بحار ما زالت تخفى فى جوفها الكثير من المفاجآت والأسرار التى تثير عجب وحيرة العلماء..

فى عام ١٩٣٤، عثر صيادون من جنوب إفريقيا داخل شباكهم على سمكة غريبة للغاية.. وقد ثبت بعد ذلك أنها سمكة (كوإيلاكانث)، من المعروف أنها عاشت فى البحار منذ ٣٠٠ مليون سنة، مع اقتناع العلماء أنها قد انقرضت منذ ٧٠ مليون سنة!.

وكان مصدر تساؤل العلماء أن سمكة (كوإيلاكانث) لم تكن تمتلك من المزايا والخصائص الواقية، ما يتيح لها أن تظل باقية على مدى هذه الملايين من السنين.. ثم جاء التساؤل التالى: إذا كانت سمكة (كوإيلاكانث) هى الوحيدة التى كانت لها هذه القوة التى أتاحت لها البقاء طوال هذه الملايين من السنين، فلماذا لا تعيش فى الأعماق أسماك أخرى عتيقة النوع؟

البحار واسعة، وتصل إلى أعماق يصعب تصورها. والسفن تبحر فوق حيز صغير جدًا من السطح، وعادة ما يلقى الصيادون

بشباكهم على أعماق لا تتجاوز ٢٠ مترًا. وحتى وقت قريب، كان العلماء يعتقدون أن الأسماك لا تعيش على أعماق غائرة، لكن سفن الأبحاث البحرية استطاعت أن تصطاد أسماكًا على عمق يزيد على تسعة آلاف متر. ورغم أن المحيط عند ذلك العمق يكون مظلمًا تمامًا، فإن السمكة التى جرى اصطيادها كانت لها عينان صغيرتان، مما يثبت أنها من سلالة كانت تعيش أقرب إلى سطح الماء. ومن المعروف أن الكائنات البحرية تكون ذات قدرة مدهشة على التكيف، وعديد من الأسماك ذات الرئات يمكنها أن تعيش خارج الماء لمدة أربع سنوات.. لهذا يكون من الممكن أن يتاح لبعض وحوش البحار، التى وجدت فيما قبل التاريخ، أن تتكيف لتعيش فى أعماق المحيط.

سمكة الشيطان:

توصل علماء البحار والأحياء المائية ـ حتى الآن ـ إلى التعرف على بعض مخلوقات البحر المخيفة، وتصنيفها.. من أمثلة ذلك «الشيفنين» الشيطان العملاق، الذى تصل المسافة بين جناحيه إلى سبعة أمتار.. وهو يبدو بلونه الداكن وبفكيه المفتوحين، كمصاص دماء هائل. كثيرًا ما كان يطفو قريبًا من سطح الماء، ليقع فى شباك الصيادين.

وقصص ذلك الشيطان البحرى شائعة فى جزر المالديف. فى أواخر عام ١٩٧٩، ظهرت صحف سيرى لانكا وبها فقرة مختصرة عن صبى يُدعَى مادا ماهندرا، قتلته «سمكة الشيطان»، ـ وهو الاسم الشائع هناك لذلك الكائن ـ عندما كان يغطس بحثًا

عن الشعب المرجانية.. وفى ختام الخبر، تقول الجريدة: «وقد تمكن زميلاه من الهرب، بعد أن ضحَّيا به..».

ثم هناك أيضا ثعابين البحر، أشرس الكائنات المميتة، ما وجد منها فى الجو أو على الأرض أو فى البحر. طولها حوالى متر ونصف، ولها رأس صغير يتيح لها أن تتعقب فرائسها إلى أعماق جحورها داخل الصخور. ورغم أنها توجد بكثرة فى أنحاء البحار الجنوبية، فإننا لم نكتشف وجودها إلا عندما قام بذلك سير إدوارد بلتشار عام ١٩٤٦. وقد أثبت أحد علماء اليابان عام ١٩٧٤، أن سُم ثعابين البحر التى اكتشفها بلتشار أقوى بمائة مرة من سم أفتك الزواحف الأخرى، بما فى ذلك الكوبرا الملكية، وثعبان النمر الأسود.

أسنان الوحش فى جسم الفرقاطة!

مفاجآت أعماق المحيط لا حد لها.. فى عام ١٩٧٦، وجدت إحدى سفن البحرية الأمريكية صعوبة كبيرة فى جذب مراسيها، تمهيدًا للتحرك.. وعند البحث اكتشف ضابط السفينة وحشًا بحريًا يبلغ طوله ٤,٥ متر، ويزن حوالى ثلاثة أرباع الطن، مشتبكًا فى أجزاء السفينة الموجودة تحت الماء. كان لذلك الكائن الغريب سبعة صفوف من الأسنان الشبيهة بالإبر. ولم يستطع علماء الأحياء المائية أن ينسبوا تلك السمكة الضخمة لعائلة معروفة فى علم الأحياء المائية، فأطلقوا عليها اسم (ميجاماوث)، أو ذات الفم الكبير.

وقد كان للبحرية الأمريكية أسبابها التى تدفعها إلى الاهتمام بذلك الوحش المجهول من وحوش المحيطات. فقبل ذلك الوقت بقليل، أبحرت الفرقاطة البحرية شتاين من سان دييجو فى كاليفورنيا، فى رحلة تفتيشية عبر خط الاستواء إلى مياه أمريكا الجنوبية كانت مهمة الفرقاطة هى الكشف عن وجود غواصات معادية فى ذلك الموقع، وملاحقتها.

بعد عبور خط الاستواء بقليل، تعطلت أجهزة الإنذار الصوتى، التى لا تستغنى عنها فى مهمتها هذه.. وأصبحت تصدر ضوضاء عالية، تغطى على جميع الإشارات الصوتية المعتادة.. عندما فشل المختصون فى إصلاح ذلك الخلل، قرر القبطان أن يستدير عائدًا إلى كاليفورنيا، حيث الحوض الجاف فى ترسانة البحرية الأمريكية. وعندما جف الحوض تمامًا، هبط ضابط السفينة الدَّرَج لفحص مدى الخراب الذى لحق بأجهزة السفينة الصوتية، فوجد مئات الأسنان الإبرية المدببة مغروسة فى الغطاء المطاطى للقبة، التى تعتبر جزءًا هامًا من أجهزة الرصد الصوتى بالسفينة.. كانت الأسنان حادة ومجوفة، طول الواحد منها أكثر من بوصة. كان من الواضح أنها قد اقتلعت من فم مخلوق بحرى عملاق، عندما انقض على تلك القبة، فى صراع لا معنى له!.

ونظرًا لوجود مركز أبحاث المحيط التابع للبحرية الأمريكية بالقرب من الترسانة، فقد أقبل العلماء على الفور، لدراسة نوع الأضرار التى لحقت بالفرقاطة، كل الذى توصلوا إليه بعد شهور من الدراسة، أن الضرر أحدثَه مخلوق بحرى، لا بد أن

يكون كبيرًا إلى أكبر حدٍّ، من فصيلة ما زالت مجهولة بالنسبة لعلم الأحياء البحرية!!.

الحبار العملاق:

على مدى السنين، صادف البشر الكثير من هذه المخلوقات البحرية، ولقى الكثير منهم حتفه خلال ذلك اللقاء.. وخلال الحرب العالمية الثانية، اقتضت الضرورات الملحة للحرب أن تمضى السفن فى مختلف أنحاء بحار ومحيطات العالم، التى يندر أن يرتادها أحد.. ومن هنا تعددت الروايات، تحكى عن الوقائع المثيرة التى حدثت لتلك السفن.

منها ما حدث للسفينة التى كان على ظهرها الملازمون رولاندسون، ودافيدسون، وكوكس، من جيش الهند. لقد هوجمت السفينة من جانب سفينة ترفع العلم اليابانى، فى منطقة نائية من جنوب الأطلنطى. واصل المهاجمون القصف حتى اشتعلت النيران فى السفينة. وجد الضباط الثلاثة أنفسهم حول طوق صغير مع تسعة جنود، يتبادلون جميعًا التعلق بحافة الطوق.

واجهوا بعد ذلك كل المحن التقليدية التى تلى غرق السفينة؛ الشمس المحرقة، والعطش الشديد، ثم هجمات سمك القرش.. فى اليوم الثالث بدأت أسماك القرش فى التقاط الجرحى، وبعد عدة أيام من الصراع مع أسماك القرش، اختفت فجأة.. لم يكن ذلك من العلامات الطيبة، بل مقدمة لكابوس مفزع.. ففى بطء ظهر إلى جانب الطوق جسم عملاق، له مجسَّات ضخمة مخيفة.

فى أول الأمر، وقف ذلك الكائن الهائل ساكنًا، كما لو كان يفكر فى الاستراتيجية التى سيتبعها.. ثم، وبهدوء، مدَّ ذراعًا نحو الطوق وأمسك بأحد الجنود الهنود. حاول كوكسى مع زميليه أن يفعلوا كل ما يطيقون لتمزيق تلك الذراع، ولكن دون جدوى.. لم ينقذ الباقين سوى انصراف ذلك الوحش.

أسلحة هجومية لا تنتهى!

ذلك الوحش الذى تعرض لغرقى السفينة، كان حبارًا عملاقًا.. عبارة عن صورة مضخمة جدًا جدًا، لذلك الطعام البحرى الذى يتلذذ البعض بتناوله ونسميه (السبيت)، ولعله تحريف عامى لاسمه العربى (السبيدج).. وهو يعرف فى شمال البحر الأبيض باسم (كالاماريا).

يعتبر الحبار العملاق من أكبر الوحوش البحرية التى تعيش فى أعماق المحيط، وأكثرها قدرة على استخدام أسلحته. علماء الأحياء المائية يعرفون بوجوده، وإن لم تتح لهم فرصة دراسة العملاق منه عن قرب. فخلال القرن، أتيحت للعلماء فرصة دراسة نوع قزم من ذلك الحبار، يتراوح طوله بين ٦ أمتار، و٩ أمتار. وفى واقعتين يفصل بينهما حوالى ثلاثين عامًا، ارتمى على شاطئ نيوفاوندلاند اثنان من ذلك النوع، يبدو أنهما خدعا بالتغيرات الدورية فى تيار لابرادور البارد، فتورطا بالاندفاع إلى المياه الضحلة، بعيدًا عن مكانهما فى أعماق شمال الأطلنطى.

لقد اكتشف العلماء أن هذه الأنواع الصغيرة تمتلك من الأسلحة الهجومية ما يثير الدهشة..

فهناك أولاً، المجسات التى تقبض على الفريسة. ثم الأذرع التى توجد عليها الأقراص الماصة والتى تعمل كجهاز تفريغ بالنسبة لما تلتصق به من جسم الفريسة، وداخل الأقراص الماصة صفوف من المخالب أو الأسنان التى تغرس فى جسم الفريسة زيادة فى ضمان عدم إفلاتها.

يسحب الحبار العملاق فريسته إلى جوفه، ويبدأ فى تقطيعها معتمدًا على فمه الذى يشبه المنقار.. وهو منقار على درجة من القوة بحيث يسمح له بقطع سلك معدنى سميك. ذلك المنقار، الشبيه بمنقار ببغاء خرافى ضخم، ينغلق شقه الأسفل ممزقًا كتلا من لحم الفريسة، لكى تتولى أسنان صغيرة فى عمق الفم مهمة طحن اللحم.. والغريب أن هذا الحبار العملاق، وحوت العنبر الضخم، يتغذى كل منهما على الآخر!.

الصراع مع حوت العنبر:

ومنذ أكثر من مائة عام، كان الكاتب البريطانى ف. بولين على ظهر سفينة صيد الحيتان «كاتشيلوت»، وكتب يصف المواجهة الجبارة بين حوت عنبر وحبار ضخم، عندما ظهرا فى عراكهما فوق سطح الماء: كان الحوت يعانى من أذرع الحبار التى التفت ملتصقة بجسمه، بينما كان جانب من جسم الحبار فى فم الحوت.

وفى موقف آخر، يصف ما حدث عندما كان أحد حيتان العنبر يعانى سكرات الموت، بعد أن اخترقه رمح الصياد.. قال: إن

الحوت تقيأ ما فى جوفه، وكان عبارة عن آلاف من الحبار؛ كبير وصغير. ويقول بولين إن مجس الكبير من الحبار كان فى سُمك جسم الإنسان.

وآثار الماصَّات الضخمة التى يراها الصيادون على أجساد الحيتان التى تقع بين أيديهم - والتى تحدث نتيجة اشتباك الحيتان مع الحبار فى أعماق المحيط - توحى بحجم ذلك الحبار العملاق، قياسًا على ذلك الذى ارتمى عام ١٩٦٥ على شاطئ خليج ترينبى فى نيوفاوندلاند، والذى بلغ طوله ستة أمتار ونصفًا.

بعد الواقعة التى سجلها الكاتب بولين بعام واحد، كانت السفينة «سان بابلو» التابعة للبحرية الأمريكية على بعد ٢٠٠ كيلو متر من كيب بونا فيزتا فى نيوفاوندلاند، تقوم بمهامِّها العادية، فى ضوء النهار الواضح.. فجأة، ارتفع خارجًا من الماء أمام السفينة الجسم الضخم لأحد حيتان العنبر، وقد التفت حوله مجسات حبار عملاق.. وقد طال مشهد تقافز العملاقين من الماء، فكان لدى الضباط، وباقى من كان على السفينة، الوقت الكافى للوصول إلى آلات التصوير والنظارات المعظمة.

وقد أجمع رجال السفينة من خبراء علم المحيطات وظواهرها، على أن طول الحوت وصل إلى ١٨ مترًا، وكان حجم الحبار قريبًا من حجم الحوت.

وقد تعددت قصص مشاهد الحبار العملاق، فى زمن الحرب العالمية الثانية.

العين الباردة الشريرة:

كان ج. ستاركى يعمل على إحدى السفن الحربية، بالقرب من مالديف بالمحيط الهندى، فى زمن الحرب العالمية الثانية.. وقد اعتاد أن يسلى نفسه عندما يتولى نوبة الحراسة المملة بين منتصف الليل والرابعة فجرًا، بأن يُنزل عنقودًا من المصابيح الكهربائية إلى الماء.. ثم يمتع نظره بمتابعة أفواج السمك من كل نوع وشكل، وهى تتجمع منجذبة إلى الضوء، مما كان يسهل عليه الإمساك بها.. وذات مساء، لاحظ ستاركى أن السمك اختفى فجأة، على غير العادة.. ويقول ستاركى متابعًا حكايته:

«بينما كنت أحملق فى الماء، توهج ضوء أخضر بالقرب من المصابيح.. وفجأة، اكتشفت أن هذه الكرة الخضراء كانت عينًا!.. وبالتدريج تبينت أننى قريب جدًّا من حبار خرافى الحجم، وكان الجزء الأمامى من جسمه يشغل مدى الرؤية، على امتداد البصر.. أنا فى العادة لا تهزنى الأحداث الجسام، لكن تلك العين الباردة الشريرة التى لا تطرف، كنت أشعر أنها مصوبة نحوى مباشرة..لا أعتقد أننى رأيت فى حياتى شيئًا له طاقة التنويم الباردة الذكية التى رأيتها فى عين ذلك الحبار.. تناولت الكشاف الكبير، وتوجهت إلى البرج الأمامى للسفينة، وصعدت الدرج، ثم سلطت الكشاف على الماء، فظهرت لى مجساته الضخمة للغاية..».

قال ستاركى: إن قطر المجس لا يقل عن ٦٠ سم، وقد ظهرت عليه بوضوح أقراص الشفط، ثم يواصل روايته قائلاً: «عدت إلى مؤخرة السفينة ثانية، حريصًا على أن يبقى الحبار تحت ناظرى.

ولم يكن هذا صعبًا، فقد كان يستلقى ساكنًا بموازاة السفينة، على امتدادها، فيما عدا حركة التنفس النابضة. عندما وصلت إلى الدفة، حيث تتدلى المصابيح.. أصبحت جميع التفاصيل واضحة؛ الصمام الذى يتنفس منه ذلك المخلوق، والفم الشبيه بمنقار الببغاء.. وانتبهت إلى جسم ذلك المخلوق على امتداد السفينة، التى يزيد طولها على ٥٨ مترًا..».

بقى ستاركى يراقب المخلوق لمدة ١٥ دقيقة، ويقول مصورًا ختام ذلك اللقاء: «ثم بدا وكأنه ينتفخ عندما فتح خياشيمه بالكامل.. وبدون جهد ملحوظ، انساب فى ظلام الليل، ليختفى فى الأعماق..».

مزقته مراوح السفينة:

من اللافت للنظر، قلة التقارير التى وردت عن هجوم ذلك المخلوق البحرى العملاق على السفن. فى ثلاثينيات القرن الماضى، كانت ناقلة البترول (برانزفيك)، وحمولتها ١٥ ألف طن، تمخر عباب البحار الجنوبية بسرعة ١٢ عقدة، عندما واجهت حبارًا.. استدار الحبار مهاجمًا وسط السفينة، لكنه لم يستطع أن يقبض على جسمها بأذرعه، فقد تمزقت تلك الأذرع إلى قطع متناثرة بفعل مراوح السفينة.. وقال القبطان: إن السفينة قد هوجمت بعد ذلك مرتين بنفس الطريقة تقريبًا. مما يوحى بأن شيئًا ما فى السفينة يستنفر الوحوش البحرية العملاقة..لونها أو سرعتها.. أو تركيبها الذى يشبه جسم الحوت..

فى القرن التاسع عشر، جرت واقعة أخرى فى المحيط الهندى، كانت ضحيتها المركب الشراعى الكبير «بيرل»، والذى تزيد حمولته على ١٥٠ طنًا. كان المركب يقف ساكنًا فى خليج البنجاب لقلة الريح. وجاء وصف الواقعة من بحارة السفينة البخارية «ستراثوين»، الذين أفادوا بأنهم شاهدوا المجسات العملاقة تلتف ببساطة حول المركب، وتجذبه إلى الأعماق..

ولا شك أن تلك القدرة تتجاوز قدرة ذلك الوحش الذى ألقت الأمواج بقاياه على شاطئ سانت أوجستين فى فلوريدا عام ١٨٩٦. كان الجسم المرتمى على الرمال هائلا، رغم كونه مبتورًا. حظى الأمر باهتمام دكتور ديويت ويب عضو الجمعية العلمية التاريخية المحلية، فتصدى لهواة جمع التذكارات الذين تجمعوا حول جثة ذلك المخلوق، يريدون اقتطاع أجزاء منه، فى وجه اعتراض الصيادين الذين كانوا يريدون تقطيعه إلى قطع صغيرة، تصلح طُعْمًا للصيد.. تصدى الدكتور لهؤلاء جميعًا، كما تصدى لنزوة مغامر كان يريد أن يحمل ذلك المخلوق على عربة ليعرضه ضمن عروض مدينة الملاهى!..

حافظ الدكتور المخلص على ذلك الدليل المادى الوحيد على أن الأخطبوط العملاق - الذى ورد فى روايات الخيال العلمى التى كتبها جول فيرن - يوجد حقيقة فى أعماق البحار. أرسل دكتور ويب تفاصيل معلوماته عن ذلك المخلوق فى خطاب طويل، إلى الأستاذ و. دال، فى المتحف الوطنى بواشنطن، فقال فى محاولة قلب ذلك المخلوق وإخراجه من الحفرة التى كان

رسم يبين الحبار العملاق وهو يعترض طريق السفينة النرويجية فى القرن التاسع عشر.

مستقرًا فيها،«..وبحكم الصعوبات التى لقيناها فى تحريكه، فلا بد أنه يزن ستة أو سبعة أطنان.. لأن ١٢ رجلاً يستخدمون كل ما توافر لهم من أدوات، كان بإمكانهم تحريك ورفع أى شىء يقل وزنه عن ذلك..».

فى ذلك الخطاب قال فى وصف ذلك الكائن: من الواضح أنه ينتمى إلى الحيوانات اللافقرية، وأنه لم يكن به ذلك المنقار أو غير ذلك من العلامات التى تميز الحبار.. قال: إن طول الجسم ٦,٤ متر، وسمكه ٢,١ متر.. وأن سُمك الجلد يصل إلى ٩٠ سم، ولا تؤثر فيه ضربات الفئوس. ومع ذلك فقد نجح الدكتور فى أن يقتطع جزءًا من ذلك الكائن، ويرسله إلى واشنطن.

بعد ٧٥ سنة.. أخطبوط!

قام الخبراء بعدة دراسات، ثم قالوا: إن العينة من لحم حوت عادى. ورفض المعهد إيفاد أحد الخبراء إلى الموقع لدراسة الكائن على الطبيعة، بحجة ارتفاع النفقات. ومما يحسب للعاملين بالمعهد، أنهم صانوا العينة، وحفظوها فى المخازن.

بعد ذلك بخمسة وسبعين سنة، قرأ العالمان جوزيف جينارو، وف. وود، ما كتب عن تلك الواقعة، فسعيا إلى تحقيق الواقعة. ولما كان جينارو أستاذًا للبيولوجيا الجزيئية فى جامعة نيويورك، فقد أعد شرائح من العينة المحفوظة لعمل التحليلات الهستولوجية.. فظهر على الفور أن النسيج لا بد أن يكون مأخوذًا من جسم أخطبوط.

أما الباحث وود، فقد عاد إلى الوثائق المحفوظة فى سانت أوجستين، فاكتشف أنها تشير إلى أصول لأذرع على جوانب الجسم.. كما عثر على تقرير لأحد المواطنين، يدعى السيد ويلسون، يقول فيه أنه عثر فى الرمال على ذراع فى موقع غربى كتلة الجسم، ويقول: «لقد قمت بقياسه فوجدت طوله حوالى ستة أمتار ونصف، كما وجدت ثلاثة أذرع ملقاة إلى الجنوب من موقع الجسم، ويبدو أن أحد هذه الأذرع كان متصلا بالجسم، ولكننى لم أستطع التأكد من ذلك، لأن هذا كان يقتضى جهدًا كبيرًا فى الحفر تحت جسم الكائن البحرى..».

وهكذا، توصل العالمان استنادًا إلى الشرائح والوثائق والصور الفوتوغرافية وأقوال الشهود، إلى القول بأنه يوجد فى أعماق المحيطات نوع من الأخطبوطات العملاقة التى تبلغ فى حجمها عشرة أضعاف تلك التى يعترف علماء الأحياء المائية بوجودها.. وأن واحدًا من تلك الأخطبوطات العملاقة قد وصل بصدفة غريبة إلى شاطئ فلوريدا، منذ أكثر من ثمانين عامًا.

أكثر وحوش الماء غموضًا:

ننتقل بعد ذلك إلى أكثر عمالقة البحار غموضًا، نعنى بذلك ثعبان البحر العملاق، ولعل مرجع ذلك الغموض، إلى أن يد الإنسان لم تصل إليه، أو حتى إلى أجزاء مادية منه!

ومع ذلك، فقد شاهده الآلاف.. من بينهم رجال متمرسون، وعلماء طبيعة مؤهلون، وبعض المختصين فى دراسة المحيطات.. وفى بعض الحالات الموثقة، شاهد ثعبان البحر مئات من الأشخاص فى نفس الوقت. وهذا لا يمنع حقيقة أنه لم نصل بعد إلى صورة فوتوغرافية واضحة ومقبولة له.. ولا إلى ثغرة فى تسلسل تطور كائنات البحار، تسمح بتصديق وجوده.

المهم، أن وقائع المشاهدة عديدة ودقيقة وتفصيلية ومتشابهة، مما لا يرجح وجود هذا الوحش فى الحقيقة فقط، بل يسمح بوجود ثلاثة أو أربعة أنواع منه.

يتكرر وصف هذه الوحوش بكونها ذات ظهور محدبة، ورءوس ترتفع عدة أقدام خارج الماء، وغالبًا ما يكون لديها أعراف، وعيون واسعة.. وهو وصف يرجع إلى شهادات تاريخية قديمة. بعض الروايات أتت من الإغريق، والبعض الآخر من قدامى الكتاب الإسكندنافيين، مثل أولاس ماجنوس.. كذلك جاء ذكر بعض الوقائع فى العصور الوسطى، وتواصلت حتى وقتنا الحالى.

فى عام ١٨٤٨، نشرت جريدة التيمز تقريرًا مثيرًا، جاء فيه أن قبطان الفرقاطة «ديدالاس»، إحدى الفرقاطات التابعة لأسطول صاحبة الجلالة، رفع تقريرًا إلى قائد الأدميرالية، عن رؤية ثعبان بحر فى إحدى الممرات المائية بالهند الشرقية. وقد جاء فى نص تقرير ذلك القبطان، بيتر ماكوهى، أنهم شاهدوا ذلك الحيوان الغريب من مسافة قريبة، ولمدة عشرين دقيقة.. وأن الرؤية كانت واضحة، بحيث أنه «لو كان إنسانًا من أصدقائى،

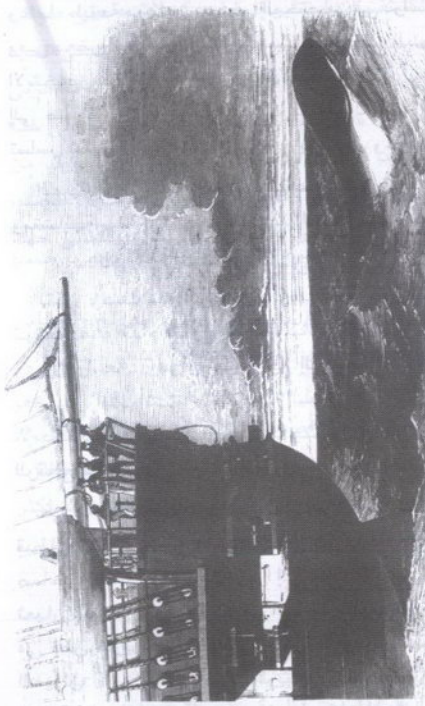

ثعبان البحر، أكبر الوحوش غموضًا.. الرسم يصور بحارة السفينة (ديدالاس) يتابعون حركة الثعبان العملاق، الذي يتقدم السفينة.

لأمكنني بسهولة التعرف على تقاسيم وجهه بالعين المجردة.. والثعبان لم يغير من خط سيره المتجه إلى الجنوب الغربى، والذى كان ينطلق فيه بسرعة تتراوح بين ١٢ و١٥ ميلاً فى الساعة.. كما لو كان يسعى إلى هدف معين..».

عناصر ذلك الكائن البحرى، التى أشار إليها ماكوهى، أصبحت حجر الزاوية فى كل مشاهدة جرت لذلك الثعبان البحرى، وبخاصة بالنسبة لسرعته، ورأسه الذى يرتفع فوق سطح الماء بحوالى ١٢٠ سم.

أنفاس ثعبان البحر:

وثعابين البحر من الأحياء البحرية المعروفة فى الولايات المتحدة منذ زمن. فعلى مدى عشر سنوات ـ منذ عام ١٨١٧ ـ أخذت تظهر كل صيف على بُعدٍ من الشاطئ الشرقى، وما ظهر منها عند مدينة (ناهانت) وصف بأن له رأسًا يبلغ طوله ٦٠ سنتيمترًا، على شكل البيضة. الأستاذ برنارد هيوفلمانز، الخبير المرموق فى موضوع ثعابين البحر، قام بتصنيف أكثر من ٥٠٠ مشاهدة خلال ١٥٠ سنة مضت. وأكثر تلك التقارير أهمية وإثارة، هى التى جاءت من مناطق تقوم فيها هيئات البحث البحرى بدراسة هذه الثعابين.

من هذا، ما حكاه تيكس جيديس عام ١٩٥٩، عندما كان مع جيمس جافين، يصطادان سمك الإسقمرى (الماكريل) فى طقس لطيف. خلال ذلك، كانا يراقبان ـ من مكانهما ـ بعض الحيتان

وأسماك القرش، التى تصعد إلى سطح البحر لتنعم بدفء الشمس. ثم شاهدا جسمًا أسود على بعد ميلين، قال عنه جيديس:

«عندما بدأ ذلك الشىء يندفع نحونا، نهضنا لنرى ما يحدث بشكل أفضل.. لا أستطيع الآن أن أتذكر مدى قربه منا، لكنى سمعت أنفاسه!.. بالتأكيد سمعت تلك الأنفاس.. لم يكن مسرعًا، فقد كانت سرعته تتراوح بين ثلاث عقد أو أربع.. لقد وقفنا مشدوهين فى مكاننا نحملق فى ذلك الشىء وهو يقترب منا.. كان وهو يندفع نحونا أشبه بوحش مخيف من وحوش ما قبل التاريخ.. ».

ويحاول جيديس أن يصفه، فيقول «كان الرأس - بلا شك - أشبه برءوس الزواحف، يرتفع حوالى ٧٠ سنتيمترًا عن سطح البحر، بعينين بارزتين واسعتين.. لم يظهر فى الرأس أى عضو للشم، لكن الفم كان كشق أحمر كبير، يقسم الرأس إلى قسمين، تظهر فيه شفتان متميزتان..».

كادى.. الوحش المدلل:

وكندا أيضا تعرف وحشًا بحريًا يسمى (كادبرو سورس)، ويدللونه باسم «كادى»!. وهو يظهر بانتظام أمام ساحل فانكوفر، منذ بداية القرن. وقد رآه كابتن بول سوزابى، من فانكوفر الغربية، عام ١٩٣٩، قال:

«كنت أتجه شمالا، وعلى بعد ٣٠ ميلاً من الشاطئ، وجدت ذلك الشىء ثابتًا فى مكانه، وقد ظهر منه ما يزيد على المتر

خارج الماء.. اتجهت ناحيته ورحت أتأمله.. ظننته فى أول الأمر بشعره المنفوش دبًا قطبيًا.. وعندما مررنا بجانبه تمامًا، وكان الماء رائقًا، لم أر من جسم ذلك الشىء تحت الماء سوى عمود طويل يمتد إلى ما لا يقل عن ١٢ مترًا..».

وقد خضع كادى لدراسة منظمة، عندما قام اثنان من علماء الأحياء المائية فى مدينة فانكوفر، هما ليبلون وسيير، بالإعلان فى الصحف والإذاعة المحلية عن طلب معلومات عن كادى، لكل من أبصره، أو التقى به. ومن بين الشهادات المقبولة التى وصلت إليهما، كان هناك حوالى ٢٤ شهادة قوية. جميع تلك الشهادات لم يكن ينطبق أى منها على أوصاف أى كائن بحرى معروف، مما أوحى لهما بوجود أكثر من كائن بحرى غير معروف أمام الشواطئ الكندية.

من بين تلك الشهادات، ما تقدم به جون أندروز، راويًا ما حدث له عندما كان يصطاد فى (سيشيل) بالقرب من فانكوفر عام ١٩٨٠، قال:

«رأيت رأسًا طويلاً حوالى نصف متر، وعرضه حوالى عشرون سنتيمترًا، وقد تميز ذلك الكائن بعينين واسعتين، أشبه بعيون القطط، تتحركان فى اتجاهين متعاكسين.. واحدة منها تنظر ناحيتى، بينما الأخرى تنظر إلى أعماق الماء!.. الأرجح أن يصل طول ذلك الكائن إلى ١٥ مترًا..».

فى كثير من الحالات، يسعى العلماء إلى البحث عن تفسيرات ترجح أن ما رآه صاحب الشهادة لا يخرج عن كونه أكثر من حوت أو حبار أو أخطبوط أو ثعبان مائى عادى، وأن الغرابة كان مرجعها إلى الظروف الخاصة للرؤية، أو عدم دقة تفسير المشاهد لما رآه. والبعض منهم يقول بعدم وجود مثل هذه الوحوش إلا فى مخيلة بعض الحالمين.

إلا أن شهادة الضابط شارلز رانكن، التى تحكى عما شاهده صيف عام ١٩٤٢، لا تحتمل التشكيك.

هيكل ضخم فى إسكتلندا:

كان رانكن ضابطًا من (جاوروك) بإسكتلندا. وقد انتزعته من مشاغله العسكرية، تلك الشكاوى التى ارتفعت من الروائح النتنة القادمة من ناحية الشاطئ. وعندما توجه مع مساعده إلى مصدر الرائحة الكريهة، شاهد هيكلاً ضخمًا لكائن غير عادى بالمرة!..

وجد رانكن نفسه فى مأزق: هل يتخلص من ذلك الهيكل الغريب حماية لصحة أهل جاوروك، ولكى يجنبهم رائحته الكريهة؟.. أم يبقى عليه حتى تتم دراسة ذلك الكائن الذى قد لا يكون معروفًا للعلماء؟.. وقد رجحت كفة الاحتمال الثانى، فاتصل بمتحف العلوم الملكى، لكنه لم يلق استجابة لطلبه. ففكر فى التقاط بعض الصور الفوتوغرافية له، لكن المنطقة كانت تعتبر عسكرية لا يجوز فيها التصوير.. وعندما طلب الإذن

بالتصوير من البحرية الملكية، تلقى تحذيرًا مشددًا بعدم محاولة التصوير.. وهكذا، تم تقطيع ذلك الهيكل الحيوانى، ودفنه فى جوف الأرض.

غير أن الوصف الذى سجله رانكن لا يمكن تجاهل دقته.. قال: «كان طول الهيكل حوالى تسعة أمتار، وعمقه حوالى مترين، فى أعرض أجزائه.. ومن الوضع الذى كان فيه الهيكل يستلقى على الأرض، بدا الجسم بيضيًّا فى مقطعه، ولكن اتصال الزعانف بالجسم يوحى بأن المقطع كان دائريًّا عندما كان الكائن حيًّا.. خروج الذيل والعنق من الجسم تدريجيًّا.. أما الرأس فقد كان صغيرًا بالنسبة لحجم الجسم، وهو يشبه رأس ثعبان السمك، وإن كان الأنف أكثر حِدة، مع انبساط فى أعلى الرأس.. وقد انطبق الفكان كل منهما على الآخر، مع أسنان كبيرة مدببة فى كل فك.. والعينان كبيرتان نسبيًّا، على جانبى الرأس..».

بهذه الدقة، يمضى رانكن فى وصف ذلك الهيكل الضخم.. عظامه.. لحمه.. جلده، وما ظهر على ذلك الجلد من آثار.. بل حرص على تسجيل ما وجده فى معدة ذلك الكائن من أشياء، من بينها مفرش مائدة قطنى مطرز!..

تلك الدقة فى الوصف والتسجيل، لا تتيح للعلماء المتخصصين أن يفسروا ما ظهر على الشاطئ، باعتباره سمكة قرش، أو أى كائن بحرى معروف.

تتوالى الشهادات من كل مكان فى العالم.. يتقدم بها أفراد يتمتعون بالعقل والمسئولية، ولا يكسبون من الإعلان عن مشاهداتهم سوى السخرية، أو الإهمال من جانب العلماء على أقل تقدير. لكن، متى يصل علماء الأحياء المائية إلى يقين حول هذه الكائنات؟.. يقول الكاتب العلمى والمفكر آرثر كلارك:

«سواء بدأت الحياة فعلاً من المحيط أم لا، فليس هناك أدنى شكٍّ فى أن أكبر وأغرب الكائنات الحية تكمن فى أعماق المحيطات.. فمن الذى كان يمكن أن يتصور - وهو متمالك لقواه العقلية - حوت العنبر، أو الحبار العملاق، أو باقى الحيوانات المخيفة التى تعيش فى أغوار المحيط؟.. من بين تلك الكائنات يتميز ثعبان الماء بأنه أكثر هذه المخلوقات تخفيًا عن عيون البشر.. ومن يدرى؟.. ربما لا يكون ثعبانًا بالمرة؟.. ربما سمكة أو حيوانًا ثدييًا.. أو حتى كائنًا عاقلاً!.. على أى حال، فإن لعبة التخفى أو (الاستغماية) التى يلعبها معنا لم يكتب لها أن تستمر طويلاً، فالدول الكبرى تتنافس فى جعل المحيط شفافًا تحت أنظارها.. ويومًا ما ستتمكن أجهزة المسح الصوتى الحساسة، وغيرها من التكنولوجيات التى قد لا نعرفها، من الوصول إلى حقائق عن كائنات أعماق المحيط، ستكون بمثابة الصدمة لعلماء الأحياء البحرية.. ».

وحوش البحيرات

يعتبر وحش البحيرة من أكثر الظواهر الغامضة وفرة فى شهود العيان.. والأكثر رصيدًا فى الصور الفوتوغرافية والأفلام السينمائية.. ويتميز شهود العيان فى هذه الظاهرة بالجدية، ورجاحة العقل.. ومع ذلك بقيت وحوش البحيرات - رغم تواجدها فى مناطق محددة ومعروفة - لغزًا محيرًا!..

ووحوش البحيرات، لا يقتصر وجودها على قارة بعينها.. فهناك «تشامب» فى بحيرة تشامبلين بأمريكا الشمالية، و«مانيبوجو» فى بحيرة وينيبيجوسيس بكندا، و«أوجوبوجو» فى بحيرة أوكانجان غرب كندا، و«إيسى» فى بحيرة أكيدا باليابان.. ووحوش بحيرات أخرى فى السويد وأيرلندا ونيوزيلندا وإفريقيا وروسيا وأستراليا وأيسلندا.. إلا أن أشهر وحوش البحيرات هو «نيسى» ذلك الكائن المخيف الذى يعيش فى بحيرة نيس أو (لوخ نيس)، بشمال إسكتلندا، والذى ضرب رقمًا قياسيًا فى عدد مشاهديه، الذين تجاوزوا ثلاثة آلاف مشاهد.

ويتحدث الكاتب العلمى فرانسيس هتشينج عن موقف علماء الأحياء من هذه الظاهرة فيقول: «هناك موقف شائع بين بعض علماء الأحياء، أنه إذا لم تستطع أن تحصل على شىء مادى تقوم بتشريحه فى المعمل، فإن الظاهرة لا تستحق الاهتمام. لقد ظهر

هذا الموقف بوضوح فى نهاية النقاش الذى أدارته هيئة الإذاعة البريطانية، حول ثعابين البحر فى فبراير عام ١٩٦١، عندما طالب أحد المتشددين المعارضين لفكرة وجود حيوان مائى غير معروف يستنشق الهواء، ويعيش بعد زمانه الطبيعى بملايين السنين.. طالب بنموذج منه يمكن تشريحه، قائلاً: «أعتقد أنه لا يمكنكم إثبات الجريمة، عندما تفتقدون وجود الجثة!..».

وبالرغم من وجود العديد من المشاهدات الموثوق بها، ومحاولات التصوير الفوتوغرافى والسينمائى، فإن العلماء الذين يؤمنون بوجود هذه الكائنات العملاقة يلقون أقل مساندة من الهيئات العلمية والتقليدية.. مثال ذلك أن الدكتورة ينيس تاكر عرَّضت نفسها للوم من جانب هيئة متحف التاريخ الطبيعى بلندن: لأنها «أضاعت وقتها فى دراسة ظاهرة وحش بحيرة (نيس)..».

ومع ذلك،لم تعدم ظاهرة وحوش البحيرات اهتمام عدد من علماء الأحياء المخلصين، الذين بذلوا الجهد والوقت فى دراسة الظاهرة رغم كل الاعتراضات من جانب الزملاء. وقد كتب عالم التاريخ الطبيعى الشهير بيتر سكوت، فى مجلة (نيتشار) التى تعتبر من المجلات العلمية البريطانية يقول:

«هؤلاء الناس الذين عملوا طوال السنين للتحقق من المخلوق (نيسى)، قدموا لنا مجموعة من الأدلة القوية.. والآن، بعد أن أوشكنا على الوصول إلى التدليل العلمى على وجود تلك المخلوقات، لا بد أن نعطى اهتمامًا أكبر للدراسات الأكثر

تقدمًا، والتى ستوفر لنا مع مرور الزمن معرفة تفصيلية بالتركيب التشريحى لهذه الحيوانات، وخصائصها، وتاريخها العرقى.. ».

والثابت، أن بحوث استكشاف الكائنات الضخمة الأسطورية، فى البحيرات شديدة العمق ـ كما هى الحال فى (بحيرة نيس)، أو (لوخ نيس) كما ينطقها أهل إسكتلندا ـ لم تتوقف فى أكثر من ناحية من نواحى العالم.

أوجو بوجو:

فى كندا، قاد دكتور جيمس ماكلويد، رئيس قسم علم الحيوان فى جامعة مانيتوبا حملة للبحث عن الوحش (مانيبوجو)، فاستخدم الشباك والغواصين لمسح بحيرة وينيبيجوسيس، التى يعيش فيها ذلك الوحش الكندى. وهو يقول: إن العديد من الشهود رأوا شيئًا بوضوح.. وإلى أن يثبت أن ما رأوه ناتج عن ظاهرة طبيعية ما، أو عن كائن حى معروف، فلا يمكن أن نتهمهم بالكذب.

وحش البحيرات الكندية الأكثر شهرة هو (أوجو بوجو)، وهو يصل فى شهرته إلى ما يقرب من شهرة أشهر الوحوش جميعًا (نيسى). بحيرة أوكاناجان التى يعيش فيها تتخذ شكلاً ثعبانيًا، على امتداد ١٢٨ كيلومترًا، فى جنوب كلومبيا البريطانية.. وعرضها لا يزيد أبدًا على ثلاثة كيلومترات، لكنها عميقة وباردة. وقد تخلقت فى الفترة الصخرية للأرض نتيجة لثلاجات العصر

الجليدى، كما هى الحال مع بحيرة نيسى. وشواطئ البحيرة مزدحمة بالسكان، كما أن الطرق تمتد بالقرب من شاطئها، ولذا فإن مشاهدة الوحش لم تكن تحتاج من السكان إلى جهد خاص.

فى عام ١٩٧٦، قالت فتاة إنها شاهدت ذلك الكائن، وهى منتظرة عند موقف السيارات الخاص بحديقة كيلونا. وفى عام ١٩٧٧، ظهر الوحش فى مواجهة نادى اليخت على الشاطئ الغربى للبحيرة. ومن فرط اعتياد الناس عليه، يقول بعضهم إنهم عندما يقودون سياراتهم على امتداد شاطئ البحيرة، ويظهر لهم، لا يكلفون أنفسهم عناء الخروج من السيارة فى الطقس البارد، ويكتفون بمتابعته من خلال نوافذ السيارة!

و(أوجو بوجو) له تاريخ طويل.. فقدماء الهنود الحمر كانوا يطلقون عليه اسمًا طويلاً هو (تا ـ ها ـ ها ـ إتش). وقد تعودوا عند عبور البحيرة باستخدام قواربهم الصغيرة التقليدية «الكانو»، أن يحملوا معهم فى القارب كلبًا أو دجاجة، فإذا ظهر الوحش قريبًا منهم، ألقوا إليه بالضحية التى معهم، حتى يتمكنوا من مواصلة رحلتهم بسلام!

وقد أثار الوحش اهتمام المستوطنين الأوائل. وفى سبعينيات القرن التاسع عشر، شاهدت السيدة سوزان أليسون، زوجة المبشر، ما تصورته جذع شجرة يعوم فى الماء. لكن ذلك الجسم بدأ يتحرك فجأة عبر البحيرة، فى عكس اتجاه الريح والتيار.. ثم بدأت سلسلة المشاهدات التى لم تتوقف حتى اليوم.

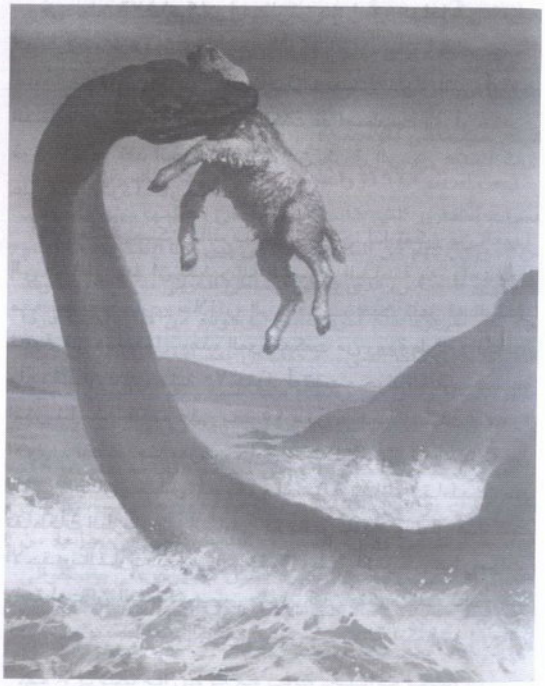

أثناء رحلة عائلة جورة سينسر بالسيارة من إسكتلندا إلى لندن، وعند المرور بامتداد شاطئ لوخ نيس، شاهدوا الوحش وهو يحمل بين أسنانه حيوانًا صغيرًا النقطه من الشاطئ (خروف على الأغلب).

فى عام ١٩٧٦، كان إيد فلتشر مع ابنته ديانا فى قاربه البخارى، يتنزه فوق مياه بحيرة أوكاناجان، عندما شاهد جسمًا عائمًا مجهولاً يعترض طريقه. قال فلتشر: «لولا أننى أوقفت المحرك فى اللحظة المناسبة، لكنت قد اصطدمت به، أو صعدت فوق ظهره.. فقد انحرف القارب عن طريق الوحش عندما كان على بعد عشرة أمتار منه..».

كان فلتشر يسكن بالقرب من الشاطئ؛ لذا تمكن من العودة إلى الشاطئ بعد أن أحضر آلة التصوير الخاصة به، واصطحب معه صديقه جارى سلافتر، إلى القارب، حيث ظهر له الوحش ثانية. فى هذا يقول: «هذه المرة تمكنت من رؤية طوله بالكامل، وأعتقد أن ذلك يبلغ ٢٠ مترًا.. أوقفت محرك القارب عندما اقتربنا منه، فكنا على بعد ١٥ مترًا عندما التقطت الصورة الأولى.. لقد تمتعنا بعرض كامل قدمه لنا على مدى ساعة من الزمن.. كان يغطس، ثم يعوم لمسافة تناظر تقاطعين من تقاطعات الطريق على الشاطئ، ثم يظهر ثانية.. وطوال هذا، كنت ألاحقه بالقارب.. غطس المخلوق وظهر أكثر من عشر مرات، واستطعت أن ألتقط له خمس صور.. كان يتكوَّم على نفسه عند العوم، ثم ينبسط عند التوقف.. حتى فى حالة انكماشه لم يكن طوله يقل عن ١٢ مترًا..».

وحكت الابنة ديانا عن مشاهدتها فقالت: إن جلده كان ناعمًا وبنيًّا مثل جلد الحوت، مع نتوءات صغيرة على ظهره. ويعتقد

سلافتر أن طول رأس الوحش كان يبلغ ما يزيد على ٦٠ سنتيمترًا، وكان مفلطحًا من أعلى كرأس الثعبان، مع شيئين بارزين فى الرأس، كأذنى كلب من فصيلة دوبرمان!

فيلم سينمائى للوحش:

وبين إبريل ١٩٧٧، وأغسطس ١٩٧٨، نشرت الجرائد المحلية عشرات التقارير التى كانت مدعومة فى معظمها بشهادات عدد من الموثوق بهم من الشخصيات. من بين تلك التقارير، ما تقدم به هارى سنيناس، الذى يسكن الشاطئ الغربى من البحيرة، وقد جاء فى تقريره: «لم أكن أصدق بوجوده من قبل، لكننا درنا بقاربنا حول ذلك الشىء، محتفظين بمسافة بيننا وبينه تبلغ مائة متر..». وقال فى وصفه: «إنه أشبه بثعبان البحر الأسود، يبلغ طوله ١١ مترًا، وأثناء عومه كان يصعد ويهبط بجسده».

أما أول فيلم سينمائى للوحش فقد تم التقاطه عام ١٩٦٨، على يد آرت فولدين ـ من تشيز بكلومبيا البريطانية ـ الذى كان يقود سيارته فى زيارة للبحيرة. عندما وصل إلى جانب من الطريق يرتفع عن سطح البحيرة بشكل متميز، وعلى بعد حوالى مائة متر من الماء، لاحظ شيئًا أسفله فى البحيرة، فأوقف سيارته. ولأول مرة فى تاريخ ملاحقة تلك الوحوش، كانت الظروف كلها مواتية.. كانت مع الرجل آلة تصوير ٨ مم، بعدسات مقربة.. وفيلم داخل آلة التصوير بقيت به بعض الأمتار لم يتم تصويرها..

هذا بالإضافة إلى أن الرجل كان هادئ الأعصاب، استطاع أن يستغل الأمتار الخالية من الفيلم فى تصوير الوحش، كلما كان يظهر له فوق سطح الماء.

خضع فيلم فولدين لدراسة دقيقة..

واعتمادًا على صورة صف من أشجار الصنوبر التى ظهرت فى بعض الكادرات، اتفق الباحثون على أن ذلك الشىء يصل طوله إلى ١٨ مترًا، أو أكثر. ولم يكن هناك خلاف حول سرعة حركته، إلا أن الفيلم لم يظهر أثرًا لما قاله بعض الشهود، من انكماش الوحش حول نفسه عند العوم. هذا الفيلم شاهدته السيدة أرلين جاك، من أوكاناجان، والتى تعتبر من أكبر الثقاة فى موضوع المخلوق أوجوبوجو، ثم قامت بدراسة دقيقة له، من واقع مقدمات وخلفيات الصور التى تظهر فى الفيلم، فأعلنت ثقتها بسلامة الفيلم، وقالت: إنه لا يتضمن أى خدعة.

لكن المخلوق أوجوبوجو مازال حتى الآن يهرب من محاولة الاتصال به عن قرب.. تطوع ستون شخصًا، وأبدوا استعدادهم للنزول إلى عمق تسعة أمتار فى قفص حديدى، مع تزويدهم بآلات تصوير، ومصابيح إضاءة قوية التى تستخدمها الطائرات فى هبوطها، وذلك بهدف التقاط صور ليلية للوحش.. ثم كانت هناك خطة لإنزال أقطاب كهربائية فى عمق الماء، تدفع الوحش إلى السطح.. إلا أن هذه الأفكار لم يكتب لها أن توضع موضع التنفيذ.

المشهد الكوميدى!

ويبدو أن نصيب كندا من هذه الوحوش أعظم من غيرها. فلديها أيضا فى بحيرة مانيتوبا، وبحيرة وينيبجوسيس، اللتين يصل بينهما نهر دوفين، ذلك الوحش المعروف باسم «ماينبوجو»، والذى يشترك مع باقى وحوش البحيرات بالقدرة على المراوغة، أو القدرة على إحداث الارتباك لكل من يراه، بحيث يفشل فى تصويره!

مثال ذلك، ما حدث عام ١٩٦٠، عندما ظهر أمام مجموعة من هواة الرحلات كانت تنتصب خيامها فى حديقة مانيتوبا. كان المشهد أشبه بمشاهدة فيلم كوميدى من أفلام إخوان ماركس. التقطت إحدى السيدات آلة التصوير الخاصة بها، واندفعت إلى حافة الماء، ورفعت الآلة إلى عينيها، فسقطت فى الماء. وأمسكت سيدة أخرى آلة التصوير، وبدلا من أن تتجه نحو الوحش لتصويره، لحقت بزوجها الذى كان يسير فى الاتجاه المضاد.. أما توم لوك فقد كانت لديه آلة تصوير فوتوغرافى وأخرى للتصوير السينمائى، فأثر استخدام الأخيرة. وعندما نجح فى تشغيلها، كان دقيقًا فى متابعته لحركة الوحش، يصوره وهو عائم، ثم يخفض العدسة إلى سطح البحيرة عندما يغطس، إلى أن اختفى الوحش.

ثم اكتشف بعد ذلك كله أن آلة التصوير السينمائى ليس بها فيلم!..

من واقع المشاهدات، يمكن أن نستجمع وصفًا تفصيليًا للوحش ماينبوجو: رأسه مفلطح مثل رأس الثعبان، وجلده داكن اللون، له ثلاث حدبات على ظهره. قال أفراد عائلة ويهالوك الذين شاهدوا الوحش فى ذلك اليوم إنهم رأوا مع الوحش زوجته وطفله!.. أيد ذلك شخص آخر، هو السيد أ. آدم، الذى لاحق الوحش على امتداد الشاطئ، فقال: إنه رأى مع الوحش أنثاه وطفله.

تشامب.. الوحش الأمريكى:

إلى الجنوب من هذه البحيرة، توجد بحيرة تشامبلين، التى تمتد من كندا جنوبًا عبر فيرمونت وحتى ولاية نيويورك. وحظ الأمريكيين مع وحش بحيرتهم المسمى «تشامب» ليس أفضل من حظ جيرانهم الكنديين. كان أول من رآه مكتشف البحيرة نفسه، صمويل تشامبلين، الذى أدخل الفزع إلى قلوب الطبقة الراقية، عندما اصطحب مجموعة منهم فى نزهة بقارب بخارى عبر البحيرة، فى سبعينيات القرن التاسع عشر.. ومع ذلك فإن ظهور الوحش فى الجانب المطروق من نيوإنجلاند كان نادرًا. جاء فى رواية للسيدة جانيت تايلور، نائبة مأمور شرطة ويستبوينت، والتى يواجه بيتها البحيرة، أنها رأت مخلوقًا داكن اللون يشق طريقه فى الماء، مطلقًا رشاشًا من الماء فى الخليج الصغير المواجه لبيتها، وكان رأسه يخرج من الماء لمسافة متر أو متر ونصف. عندما أسرعت إلى التليفون لتخطر الشرطة، عادت فوجدته قد اختفى..

وفى عام ١٩٤٧، كان ل. جونز، من سوانتون، يصطاد السمك مع اثنين من أصدقائه فى قاربه، قال: «كان السمك يبلع الطُعم

بشكل مشجع، وكنا على وشك أن نلقى المرساة، عندما رأينا فى مواجهتنا رشاشًا عاليًا من الماء، رغم خلو البحيرة من القوارب على امتداد البصر.. ثم ظهر فجأة، خارجًا من أعماق البحيرة، جسم ضخم داكن.. ظهر منه فوق سطح الماء ثلاثة أجزاء متميزة بشكل واضح، يفصل بين كل جزء والآخر حوالى متر ونصف من الماء، مما يوحى بأن طول ذلك المخلوق سبعة أمتار ونصف.. وقد أجمع من كان بالقارب على أن هذه الأجزاء كانت لمخلوق واحد، يندفع فى الماء بسرعة ٢٥ كيلومترًا فى الساعة.. بقى المخلوق تحت أبصارهم لثلاث دقائق، ثم اختفى..

أسطورة من اليابان:

من أمريكا ننتقل إلى اليابان.. مع انتشار آلات التصوير فى اليابان، لا يمكننا أن نتصور يابانيًا يرى وحشًا فى بحيرة ولا يلتقط له صورة!.. لقد حصل السيد ماتسوبارا فى عام ١٩٧٨ على جائزة أول صورة للوحش «إيسى»، الذى يعيش فى بحيرة إيكيدا. كان ماتسوبارا قد أقبل إلى شاطئ البحيرة، فى عطلة لثلاثة أيام، ليستريح من العمل فى متجره فى مدينة كاجوشيما. قال إن الساعة كانت حوالى الواحدة والنصف ظهرًا، عندما خرج إيسى فوق سطح الماء، «ظهر شىء ضخم من الماء، ثم اختفى بعد ١٥ أو ٢٠ ثانية.. وهكذا استطعت أن ألتقط له صورة واحدة فقط..»، لكن الصورة الوحيدة كانت كافية ليكسب ما يغطى نفقات رحلته بالكامل!

وفى اليابان، تشيع أسطورة رقيقة حول إيسى. تقول الأسطورة إنه فى قديم الزمان، كانت هناك فرسة بيضاء جميلة، تعيش

بالقرب من شاطئ البحيرة، وقد أقبل ذات يوم أحد الساموراى، أو المحاربين اليابانيين القدماء، فأخذ منها مهرها الصغير ومضى به.. فألقت الفرسة البيضاء بنفسها فى البحيرة، حزنًا على فقد صغيرها.. لكنها لم تغرق، وظلت تصعد إلى سطح الماء بين الحين والآخر، تتطلع حولها، عسى أن تعثر على صغيرها الذى فقدته..

وفى عام ١٩٧٨، التقط السيد م. أوجارى صورة لاثنين معًا من وحش إيسى. وفى أواخر نفس العام، رأى عشرون شخصًا ذلك الوحش وسط البحيرة.. قال أحدهم، وهو عامل البناء يارتاجا كاوتجى: «رأيت حدبتين كبيرتين طول الواحدة ٤,٥ متر، وارتفاعها أكثر من نصف متر، ظهرتا بارزتين فوق سطح الماء لأكثر من دقيقتين، وكانت المسافة بينهما حوالى ٤,٥ متر أيضًا. أما الجلد فقد كان لونه داكنا للغاية..».

وفى اليابان وحش آخر فى بحيرة كاتشاو بجزيرة هوكايدو الشمالية، وقد التقطت له عدة صور، كما خصص له برنامج بحث اشترك فيه عدد من الغواصين، وتكونت هيئة لحمايته، خاصة بعد تسمم البحيرة فى أعقاب زلزال عام ١٩٣٨.

نيسى.. أشهر وحوش البحيرات:

غير أن أكثر وحوش البحيرات شهرة فى العالم، هو «نيسى «وحش بحيرة نيس، والتى يطلق عليها أهل إسكتلندا (لوخ نيس).. وهى بحيرة تتصل بالبحر عن طريق نهر نيس، وتمتد كجرح غائر فى اتجاه الشمال الشرقى، فاصلة إسكتلندا الشمالية عن

باقى الجزر البريطانية، ويبلغ طولها ٣٩ كيلومترًا. الطبيعة حول تلك البحيرات تبعث على الرهبة، فالجبال ترتفع من جانب البحيرة إلى ٦٠٠ متر، والماء يبدو دائمًا داكنًا كثير الضباب، وعمق البحيرة يصل إلى ٣٠٠ متر.

وقد أفردت دائرة المعارف البريطانية، فى ملحق العلوم والمستقبل لعام ١٩٧٨ دراسة خاصة عن وحش بحيرة نيس، قام بها جورج ذاج، أمين قسم الزواحف والبرمائيات فى المتحف البريطانى للتاريخ الطبيعى. وهذه الدراسة تطرح بشكل علمى نتائج الجهود العلمية التى تمت للبحث فى أمر ذلك الكائن.. والتى استخدمت فيها كافة الأجهزة والوسائل العلمية الحديثة.

أول مشاهدة مسجلة للوحش نيسى جاءت من قلعة أركهات، قرب النهاية الشرقية للبحيرة، عندما التقطت صورة له أيضًا فى عام ١٩٣٣. وقد ظهرت تلك الصورة فى جريدة دايلى ريكورد فى جلاسجو، ودايلى اسكتش فى لندن. هاج جراى الذى التقطها كان يعمل فى شركة الألومنيوم البريطانية بمدينة فويرز منذ عام ١٩١٦. عن هذا قال جراى:

«منذ أربعة أسابيع، وفى يوم الأحد، بعد الخروج من الكنيسة، مضيت فى نزهتى المعتادة سيرًا على الأقدام، بالقرب من المنطقة التى يدخل عندها نهر فويرز إلى البحيرة.. كانت مياه البحيرة ساكنة تمامًا، كما كانت الشمس تسطع بشدة.. برز من الماء شىء ضخم الحجم، ليس بعيدًا جدًا عن المكان الذى أقف

عنده. على الفور تناولت آلة التصوير التى كانت معى، والتقطت صورة لذلك الشىء، الذى أصبح وقتها يرتفع عن سطح الماء حوالى المتر. لم أر للمخلوق رأسًا، فقد كانت مقدمة الجسم غاطسة فى الماء، وقد بدت حركات ما تصورته ذيل المخلوق واضحة...».

تتابعت بعد هذا أخبار مشاهدات نيسى فى الصحف المحلية، ومنها انتقلت إلى الصحف الكبرى. يقول جورج ذاج: إن أحد أهم المشاهدات كانت تلك التى نشرت فى جريدة انلرنس كوريير، والتى تفيد رؤية السيد جون ماكاى وزوجته لحيوان ضخم فى ماء البحيرة، وقد اجتذب هذا اهتمام صحف لندن، ومن ثم صحف العالم.

وفى أحد أيام شهر سبتمبر من نفس العام، توجه القس د. هوبز، من مدينة روكستر، إلى مشرب الشاى الخاص بالآنسة جانيت فوبرز، وجد المشرب خاليًا. ثم اكتشف أن جميع الزبائن فى الطابق العلوى، يتطلعون إلى الوحش «نيسى».. انضم إليهم، يتابع الوحش الذى كان يعوم على بعد حوالى نصف كيلومتر. وقد تمكنت هذه المجموعة من المشاهدين من إعطاء أدق وصف تفصيلى للوحش نيسى: حدبتان لم تكونا مرتفعتين، وذيل يضرب الماء ويدفع الرشاش فى كل مكان، ورأس ورقبة يظهران فوق سطح الماء، ويشبهان رأس ورقبة الثعبان. عندما راح الوحش يتطلع حوله، بدت عيناه كبيرتين لامعتين.

لقد غطت أخبار المشاهدات على أخبار البطالة والأزمة الاقتصادية، التى كانت تشغل الصحافة فى ذلك الوقت.. تكلم الناس عن الموجات التى يحدثها الوحش عند اندفاعه السريع فى الماء، كما أشار البعض إلى قوة ذيله. والسيد بالمر الذى رآه على بعد ٩٠ مترًا، قال: إن له فمًا أحمر يمتد مسافة ٣٠ سنتيمترًا أو أكثر، وله قرنان أو هوائيان فوق رأسه.

أول صورة واضحة:

فى مايو ١٩٣٤، تم التقاط صورة أخرى للوحش «نيسى» على يد الكولونيل طبيب روبرت ويلسون، وقد خلت تلك الصورة من التشويش التقليدى الذى تتسم به معظم صور الوحش السابقة.. كانت الصورة واضحة تمامًا، يظهر فيها رأس الوحش وعنقه فوق سطح الماء، وتظهر فيها تموجات الماء مما يوحى بأن الوحش كان قد خرج لتوه من الماء. جريدة الديلى ميل اللندنية التى نشرت هذه الصورة، ظهرت على صفحاتها بعد ذلك صورة أخرى للوحش، بانت فيها هذه المرة زعانفه!.

كان على العالم أن ينتظر حتى عام ١٩٥١، لكى يحصل على صورة أخرى توضح خصائص حدباته التى تحدث عنها الكثيرون من شهود العيان. والغريب، أن هذه الصورة جرى التقاطها بآلة تصوير بسيطة، عبارة عن صندوق (براونى)، يمتلكه لاكلان ستيوارت الذى يعمل حطابًا فى هيئة الغابات.. قال إنه كان يحلب بقرته، عندما لاحظ شيئًا يتحرك فى البحيرة أسفل مزرعته الصغيرة.. فالتقط آلة تصويره وصاح

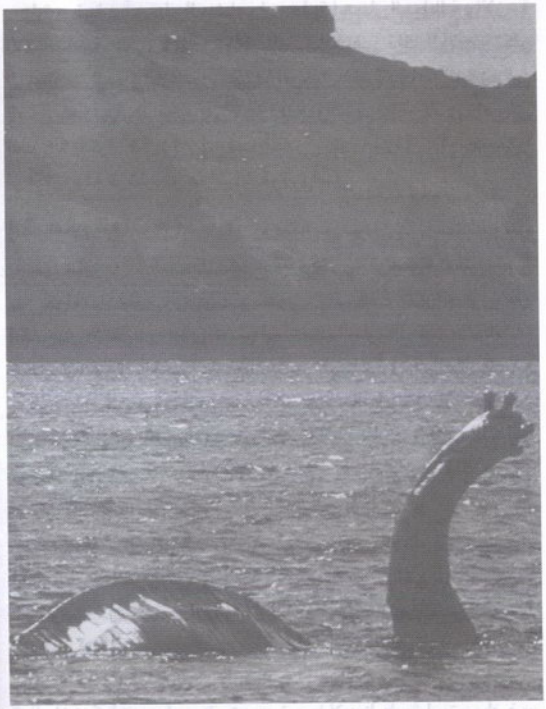

«نيسى»، وحش بحيرة (لوخ نيس).. عديد من المشاهدات ومحاولات التقاط الصور والأفلام.

مناديًا زوجته لتلحق به، واندفع إلى الشاطئ حيث أصبح على بعد ٤٥ مترًا من الوحش، و قال فى وصفه: إن له عنقًا طويلا، ورأسًا فى حجم الخروف، يندفع فى الماء محدثًا رشاشًا عاليًا، وقد ظهرت فوق ظهره ثلاث حدبات، ترتفع فوق الماء لما يزيد على المتر.

لقد التقط ستيوارت صورة واحدة، لكنه لاحظ أن الوحش لا يقل فى طوله عن ١٥ مترًا.

شهادة نائب المأمور:

ولا شك أن بطل شهود العيان فى حالة نيسى، هو أليكس كامبل، نائب مأمور لوخ نيس، فقد توافرت له فى ذلك الوقت ١٨ مقابلة مع الوحش.. فى واحدة من تلك المقابلات كاد الوحش أن يقلب قاربه، فدب الرعب فى كلبه الذى كان بصحبته فى القارب، واختفى تحت مقعد القارب. يقول كامبل:

«أفضل ما حظيت به من لقاءات، كان فى مايو عام ١٩٣٤، قريبًا جدًا من مرسى القوارب فى آبى. كنت فى ذلك الصباح أقف عند مصب نهر هاويك، أبحث عما نسميه مسار أسماك السلمون. فسمعت صوت اثنين من سفن الصيد ذات الشباك المخروطية، التى تتصيد السمك من قاع البحر، وكانتا قادمتين عبر القناة من جهة الغرب.. فجأة، سمعت صوت اضطراب فى الماء، بالضبط عند مدخل القناة.. جمدت فى مكانى، ورحت أغلق عينى وأفتحهما ثلاث مرات لأتأكد من أن ما أراه ليس وهمًا.. ظهر

أمامى واضحًا تمامًا رأس الوحش وجسمه الضخم المحدب، وقد ظهر من حركات رأسه العصبية ذات اليمين وذات اليسار، أن ضجيج آلات سفينتى الصيد قد أثار فزعه.. بمجرد أن ظهرت لى سفينة الصيد الأولى، وبالطبع ظاهرة أيضًا للوحش فى نفس الوقت، حتى اختفى نهائيًا فى الماء.. وتقديرى أن طول جسمه يصل إلى عشرة أمتار على الأقل، أما ارتفاع الرأس والرقبة فوق سطح الماء فيزيد على مترين.. وقد كان جلده رماديًا..».

لقد التقى السيد كامبل بالوحش نيسى بعد ذلك بانتظام، وحتى ما قبل اعتزاله العمل، عندما تم اللقاء الأخير.. كان يمضى بسيارته على الطريق المقابل لجزيرة تشيرى فى طريقه إلى مدينة أتفرنيس، قال: «رأيت منه حدبة واحدة هائلة، حوالى ثلاثة أمتار طولا، ومتر ونصف ارتفاعًا. وبلا أى تمهيد اندفع بسرعة لا تصدق من جانب البحيرة إلى جانبها الآخر.. كان يندفع فى خط مستقيم، تاركًا ذيلاً من الماء يصل إلى المتر فى ارتفاعه..».

لم تتوقف مشاهدات نيسى طوال سبعينيات القرن الماضى. ففى عام ١٩٧٥، رأت السيدة روبرتسون اثنين من ذلك الوحش فى نفس الوقت.. قالت: «قدمت لزيارتنا صديقة لى ـ راهبة ألمانية ـ فخرجنا فى جولة على الأقدام. سألتنى أن ألتقط لها صورة، وعندما رفعت آلة التصوير، رأيت ذلك الشىء، ضخمًا للغاية، له حدبتان، ويعوم فى مقابل مصب النهر.. كنت أنظر إليه من خلال شجرتين؛ ولذا كان من السهل تقدير طوله، الذى كان يبلغ ١٥ مترًا.. وكان لونه رماديًا، تظهر له حدبتان وعنق طويل

يرتفع فوق الماء بمقدار ثلاثة أمتار.. لم أستطع أن أحول نظرى عن رأسه، بشكله المتميز.. لم يكن مكورًا بل كان مربعًا، مع بقع سوداء كبيرة وسط الرأس.. أما باقى الرأس فقد كان أبيض، وامتد ذلك البياض بطول الرقبة..».

أول فيلم سينمائى:

أول محاولة لالتقاط فيلم سينمائى للوحش نيسى تمت قبل احتفالات الكريسماس عام ١٩٣٣. وقام بها مالكوم أرفين، كما قام بمحاولة ثانية موفقة عام ١٩٣٦.. أما أول فيلم سينمائى ملون فقد حصل عليه ج. تيلور، من جنوب إفريقيا، وقد صور فى فيلمه حدبات الوحش لمدة ثلاث دقائق، ومن مسافة ٦٥ مترًا.

ثم جاء بعد ذلك أكثر الأفلام شهرة فى عام ١٩٦٠، الذى التقطه ليم دتزويل، وأحدث ثورة فى ملاحقات نيسى الطويلة، كما قلب حياة دتزويل رأسًا على عقب!.. فقد ترك بعده عمله كمهندس طيران، وكرَّس السنوات العشرين التالية من حياته لملاحقة وحش لوخ نيس، فصمم لهذا الغرض قاربًا، أطلق عليه اسم «حصان البحر»، وزوده بكل وسائل التعمية والتخفى، وكان يمضى الأسابيع، يأكل وينام فى قاربه، يراقب البحيرة على أمل تصوير فيلم يصلح كدليل مادى قوى على وجود ذلك الوحش.

الفيلم السينمائى الذى التقطه عام ١٩٣٦ قاد إلى إنشاء مكتب بحوث بحيرة نيس، الذى أضاف إلى عمليات البحث

عنصرى العملية والمنهجية. قام المكتب بتحقيق وتصنيف جميع روايات شهود العيان، وجمع كل المعلومات والصور المتصلة بالوحش منذ عام ٥٦٥ ميلادى!.. كما نظم مراكز دائمة للمراقبة حول البحيرة.

وقد شجع هذا التطور عددًا من المغامرين المتحمسين. ففى عام ١٩٧٠، أقبل قائد الجناح كين واليس بطائرته الخاصة، ومن بعده التكساسى دان تيلور ومعه غواصته الصفراء التى يسميها (يبر فيش)، والتى قاد بها مغامرات مشهودة، من بينها هبوطه إلى عمق ٢٥٠ مترًا تحت سطح البحيرة، عندما وقع فى حبائل دوامة عنيفة.. ومع ذلك لم يتح لأى منهما مشاهدة الوحش.

وقبل هذا، قدمت إلى البحيرة بعثة من شركة الأنباء التلفزيونية البريطانية المستقلة، ومعها أجهزة للمسح الصوتى، كما استعانت بالخبير هانى لاف بأجهزته الصوتية.. وقد حظى لاف بتسجيل صوتى استمر لمدة دقيقتين فى عام ١٩٦٩، وكانت ترجمة تلك الإشارات الصوتية، تفيد وجود كائن حى كبير الحجم.

الوحش يواجه التكنولوجيا!

ولعل أكبر اقتحام علمى منظم واجهه الوحش نيسى، هو ذلك الذى قام به الأمريكى دكتور رينز، وهو رجل ثرى، ومحام ناجح، تخصص فى شئون براءات الاختراع.. كان قد حظى بمشاهدته الأولى للوحش فى ليلة من ليالى شهر يونيو من عام ١٩٧١، فقرر أن يكرِّس جهده وماله للبحث عن نيسى.

وقد عاد فى العام التالى إلى البحيرة، حاملا العديد من الأجهزة المتطورة.. آلت أوجوتون للتصوير تحت الماء، التى يعمل عليها الخبير الشهير جاك كوستو، والتى تتصل بجهاز رايثيون للمسح الصوتى.. سرعان ما أتى ذلك الحشد التكنولوجى بثماره.. ففى ليلة ٧ أغسطس، كان جهاز البحث الصوتى يكشف عن وجود العديد من الأسماك.. ثم فجأة، انسحبت الأسماك بسرعة شديدة من المنطقة، وظهر أثر أسود ضخم على الشاشة. قال أحد المراقبين الذى يعملون فى قارب المسح الصوتى، يصف شعوره «المضى بالقارب فى عرض البحيرة، وأنت تعلم أن تحتك فى الماء حيوانًا كبيرًا جدًا، لا يقل طوله عن عشرة أمتار، يبعث فيك خليطًا من الأحاسيس الغريبة.. وحجم الصدى الذى كشفت عنه الأجهزة الصوتية بعث الرعب فى نفسى..».

عندما عاد الفريق إلى بلاده، وتم تحميض الأفلام، ظهرت صورة رينز الشهيرة، والتى يظهر فيها الحيوان كاملا بزعانفه.. كما حصل رينز على صورتين جديدتين، واحدة للجسم كاملا، والأخرى يظهر فيها الرأس والعنق.

وعلى غير ما توقع رينز، قوبلت هذه الأدلة بالإعراض من جانب علماء التاريخ الطبيعى فى بلده، فقرر العودة مرة ثانية لإسكتلندا، والبقاء بها، حتى يحصل على صور أكثر وضوحًا لا يستطيع العلماء إنكارها.. وقد فكر فى هذه المرة أن يدرب زوجًا من الدرافيل، يعتمد عليها فى ملاحقة الوحش نيسى بدلاً من انتظار اقترابه!

لغز الحيوان المنقرض:

ورغم تواصل المشاهدات وتعددها.. وكثرة الصور والأفلام، فإن علماء التاريخ الطبيعى ما زالوا ينكرون بشدة وجود مثل ذلك الكائن الحى، ويسعون إلى تقديم تفسيرات خاصة لكل مشاهدة أو صورة.

مرة يقولون إن ما رآه شاهد العيان ليس أكثر من قارب بخارى بعيد يمخر عباب الماء، أو أنه أحد ثعالب الماء (واسمه أيضا القضاعة).. أو أن ما يظهر فى الصورة لا يخرج عن كونه فقاقيع ماء من التى تخلفها المراكب وراءها.

والحقيقة أنه لا يمكن تفسير آلاف الشهادات الصادرة عن أشخاص مرموقين، بينهم علماء تاريخ طبيعى، وأطباء، ومهندسون، وصيادون محترفون، باعتبار أنها مجرد أوهام. فمثل هؤلاء الأشخاص لا يمكن أن يخلطوا بين ما رأوه، والذى كان يبلغ ما بين ١٠ و٢٠ مترًا فى طوله، وبين ثعلب الماء الذى يصل طوله إلى مترين ونصف.. أو أن يتصوروا القارب البخارى جسمًا هائلاً، له رأس ثعبان، وحدبات على ظهره، وذيل يضرب به الماء!

ومع ذلك، فهذا لم يمنع وجود نظريات بين عدد من العلماء المرموقين، الذين يؤمنون بوجود كائن حى غير معروف الهوية يعيش فى بحيرة لوخ نيس.

ومن أهم تلك النظريات ـ وأغربها ـ تلك التى تقول إن نيسى ما هو إلا «بليسيوسورس»، ذلك الكائن الذى يقول عنه العلماء إنه انقرض منذ ٧٠ مليون سنة!.. فالشبه بين ذلك الحيوان المنقرض الذى تعرض صورته متاحف التاريخ الطبيعى، وبين الصور وشهادات الشهود، شديد جدًا.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذه الحالة، هو: كيف أمكن لذلك الكائن أن يواصل حياته فى البحيرة خلال العصر الجليدى الحديث، الذى ساد الأرض؟!

حيوانات منقرضة، تعود إلى الحياة!..

العديد من الحيوانات الغريبة، التى تظهر أدلة وجودها فى لمحات خاطفة، ما زالت - حتى اليوم - تثير حيرة علماء الحيوان، وتراوغ فخاخهم، وأسهمهم المخدرة، وتستعصى على رغبتهم فى تصنيفها علميًا.. ما زالت تسعى على أرضنا ذئاب ذات عرف من الشعر فوق رءوسها كالأسود، تجوب أنحاء جبال الإنديز، فى أمريكا الجنوبية.. لم نتوصل إلا إلى الجلد الجميل لواحد منها.. أما القرد العملاق الذى يجوب غابات الأمازون، والذى يعتقد البعض أنه يحمل سر الحلقة المفقودة فى تطور الإنسان، فليس لدينا سوى صورة نادرة له..

ما زال العلماء يتساءلون عما إذا كانت أدغال الأمازون الرهيبة - شديدة الإظلام - ما زالت تخفى ثعبان الأمازون الضخم، الذى يحتفظ أحد باعة الأدوات الفوتوغرافية بفيلم له، والذى ينتسب إلى فصيلة الأناكوندا، ويبلغ طولا خرافيًا يصل إلى ٩٠ مترًا، وسُمكًا يقرب من سمك جسد الرجل.

ثم ذلك الدب التبتى الأزرق، الذى يستطيع كسر رقبة الثور، والذى فشل العلماء فى الحصول على عينة حية منه.. الموجود

منه هو فقط الفرو الثمين المثبت داخل إطار، فى أحد المحال التجارية بلندن.. والذى يثير شعورًا بالخوف الشديد لكل من يراه بحالته تلك!

وفى أنحاء القارة الأسترالية، يتجول حيوان كبير من عائلة القطط، يطلقون عليه اسم نمر كوينزلاند، ما زال يشكل لغزًا بالنسبة للباحثين. ففى عام ١٩٦٤، عرضت سيدة وقورة من ملبورن، صورة واضحة لحيوان مخطط يشبه النمر فى مظهره، وقالت إنها كانت قد التقطتها فى مكان بالقرب من طريق ولاية فكتوريا. وذلك الحيوان قريب الشبه من حيوان آخر، هو النمر التسمانى، الذى يفترض أنه قد انقرض منذ وقت طويل.

ناندا.. لا نمر ولا أسد!

وما زالت إفريقيا تحتفظ بلقب (القارة السوداء)، نتيجة للعديد من الروايات المرعبة التى تخرج منها عن حيوانات عدوانية مفترسة، لا يعرف عنها علماء الأحياء شيئًا.

يحكى كابتن وليم هيتشينز، الموظف البريطانى الإدارى فى ليندى بتنزانيا، عن وحش من وحوش الأدغال، فيقول:

«كان من عادة التجار الوطنيين أن يتركوا بضائعهم فى مكانها بالسوق أثناء الليل، لكى يعودوا لبيعها صباح اليوم التالى، لذلك خصصنا لحراسة السوق شرطيًا من أبناء البلاد. وعندما توجه الشرطى المسئول عن وردية النصف الثانى من الليل لكى يتسلم مهمته، لم يعثر على الشرطى الذى سيتسلّم منه

الحراسة.. راح يبحث عنه فى كل مكان، فوجده تحت سقيفة مقتولاً ومشوهًا للغاية. أسرع إلى ضابطه الأوروبى، الذى أبلغنى بدوره، فاصطحبته معى فورًا إلى السوق.. اكتشفت أن يد الشرطى القتيل تقبض على خصلة غزيرة من الشعر الرمادى، يغلب أنه انتزعها خلال صراعه مع الوحش..».

«وفى صباح اليوم التالى، جاء حاكم المنطقة الإفريقى إلى مكتبى مهرولا، ومن خلفه رجلان يبدو عليهما الذعر.. قالا إنهما كانا يقفان بالقرب من السوق ليلا، عندما شاهدا نمرًا عملاقًا رمادى اللون، تغطى جلده خطوط داكنة، يقفز من الظلام، ليلقى بالشرطى الذى بالسوق إلى الأرض..».

عرف هيتشينز من هذين الرجلين أن أهل البلاد يعرفون ذلك النمر، ويطلقون عليه اسم «ناندا»، واسم «منجوا» أحيانًا أخرى.. وهو ليس أسدًا أو نمرًا، إنما هو قط ضخم فى حجم الحمار، ومخطط مثل الحيوان المعروف باسم القط العتابى . ذلك الحيوان قتل بعد عدة أيام شرطيًا آخر، وهاجم قرى أخرى على امتداد الساحل. عندما أرسل هيتشينز الشعر الذى وجد فى يد الشرطى القتيل إلى المعمل للتحليل، كان رد المعمل أن ذلك فراء وليس شعرًا، يغلب أن يكون لحيوان من فصيلة القطط.

كان من الممكن أن ينصرف اهتمام العلماء عن هذه الوقائع، باعتبارها خيالا، لولا ما وصل إلى علمهم بعد ذلك من برهان أكيد عن وجود حيوان مفترس هائل كالنمر، يسمى «الملك تشيتا» يجوب أنحاء أدغال بتسوانا وجنوب إفريقيا.

السيد بول بوتريل وزوجته لينا، اللذان يعتبران مرجعًا موثوقًا فى مجال الحيوانات غير المعروفة، كانا قد وهبا حياتهما لملاحقة «الملك تشيتا». وقد استطاعا إثبات وجود ذلك الوحش المفترس، الضخم المرقط كالنمر، والذى يعتبره الإفريقيون أخطر أعداء الإنسان، بعد أن نجحا فى التقاط فيلم سينمائى وصور فوتوغرافية لذكر صغير السن. وقد استدلا على أماكن تواجده على طول حدود موزمبيق، فقاما بمسح المنطقة بمنطاد يعمل بالهواء الساخن.. لكنهما لم ينجحا فى اصطياد واحد من ذلك النوع المراوغ.

الفيل القزم

«الملك تشيتا» ليس هو المراوغ الوحيد.. فهناك أيضا الفيل القزم، الذى ظل يراوغ الصيادين لأكثر من نصف قرن.. لقد تناقل أهل المنطقة حكايات عن فيل غريب، غير ذلك الفيل الضخم الذى يوجد فى الغابات وبين الأجَمَات، فيل صغير الحجم يعيش أساسًا فى الأنهار والمستنقعات، ويختبئ فى الغابات الكثيفة، حيث يسمح له حجمه الصغير بالحركة فى حرية.

استأثرت هذه الحكايات باهتمام الملازم البلجيكى سيئ الحظ فرانسين، الذى ترأس بعثة للبحث عنه بمساعدة بعض أبناء القبائل المحلية.. اختفى داخل الأدغال لعدة شهور، ليظهر بعد ذلك مريضًا بالحمى التى قضت على حياته.. لكنه كان قد نجح فى أن يأتى معه بجلد وأنياب الفيل القزم. كان ارتفاع الفيل حوالى متر ونصف.. وقد ذكر فرانسين أن ذلك الفيل كان أكبر أفراد القطيع. وكان طول الناب ٦٦ سنتيمترًا..

منذ ذلك الوقت، بقى الفيل القزم أحد ألغاز غابات الكونغو.

غابات إفريقيا الخضراء الكثيفة، ما زالت تتحدى أى عالم أحياء يزعم أن علم الأحياء قد عرف كل ما فيها من حيوانات. قد يتصور الشخص الجالس مستريحًا فوق مقعد الطائرة المحلقة فوق كينشاسا فى زائير، أو وهو ينطلق بالسيارة، من المطار إلى قلب المدينة، منبهرًا بناطحات السحاب، أن قلب إفريقيا قد استسلم نهائيًا للمستكشفين.. فعبر النهر فى برازافيل، ما زال بإمكانك إلى اليوم، أن تذهب إلى متاجر السحرة البُدائيين، على بعد كيلو متر من القصر الرئاسى، وتشترى كف غوريلا، أو جمجمة قرد، أو سم ثعبان.

هواة المغامرة، سيجدون أنفسهم على أبواب ما يزيد على ١٥٠٠ كيلومتر من الغابات العذراء، التى يصادفون فيها أغرب الحيوانات ذات التركيب العجيب، الذى لم يرد على لسان أى عالم من علماء الأحياء، مثل ذلك الحيوان المعروف باسم «أوكابى»، الذى قدم الدليل على صدق الروايات التى تتردد فى أنحاء المنطقة، عن حيوان غريب، خليط بين الزرافة وحمار الوحش.

التنين المنقرض

فى عام ١٩١٢، لجأ طيار من الرواد إلى هبوط اضطرارى، فوق إحدى جزر شبه جزيرة الملايو، ليواجه بتنين ضخم، حقيقى وليس أسطوريًا.. كان طوله ثلاثة أمتار أو أكثر، له فكّان كبيران، وذيل قوى. كان ذلك الحيوان يفترس الخنازير والغزلان والقردة..

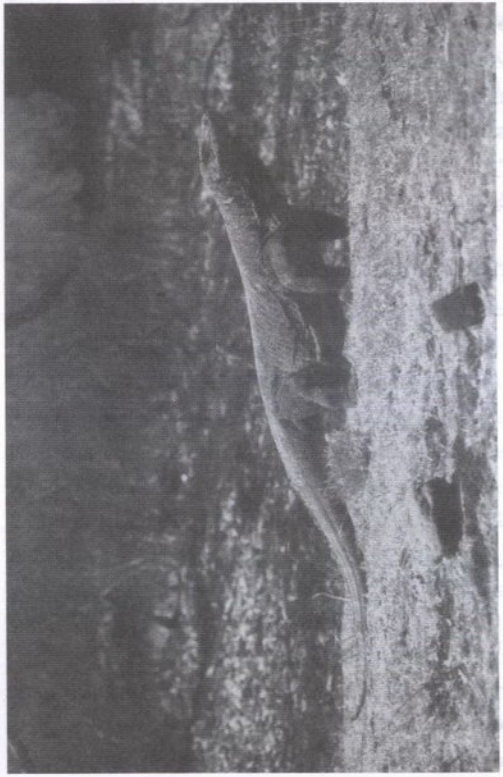

«كومودو» الذى عرف باسم التنين كومودو، فى إحدى جزر المحيط الهندى عام ١٩١٢م.

وقد عرف باسم «التنين كومودو».. يبدو أنه من الزواحف التى حافظت على جنسها منذ عصر الديناصورات المنقرضة.

وخلال القرن العشرين، تم اكتشاف نوع من القردة العليا، أكبر بكثير من أى نوع عثر عليه من قبل، ويطلق عليه اسم غوريلا الجبال. يصل وزنه إلى ٣٢٠ كيلو جرامًا، ويبلغ طوله ثلاثة أمتار إلا الربع. وقبل ذلك بسنوات تم اكتشاف أضخم أنواع الدببة، الذى يصل طوله إلى ثلاثة أمتار، ووزنه إلى ٧٢٥ كيلوجرامًا، وهو الدب المنشورى البنى، الذى لم يكن قد وقع بصر إنسان عليه من قبل.

أما حيوان البندا العملاق، الذى لم يكن قد وصل العلماء منه سوى جلده وفروه فقط، والذى ظل يراوغ الصيادين المحترفين على مدى ما يزيد على نصف قرن، فقد تم التوصل إليه عام ١٩٣٧، فى أعقاب الرحلات الواسعة التى قام بها وليم هاركنس وزوجته للبحث عن البندا العملاق.. توفى الزوج أثناء الرحلة، فواصلت الزوجة استكشافاتها، إلى أن عثرت على طفل الحيوان نائمًا عند شجرة، فى شمال الصين، فشحنته إلى حديقة حيوان شيكاغو، حيث لقى اهتمامًا كبيرًا من الأوساط العلمية، وحظى بضجة صحفية وإعلامية كبيرة.

وخلال القرن الماضى، تمت بعض الاكتشافات المثيرة.. من بينها العثور على ذلك النوع الشبيه بالخنزير، والمعروف باسم «تشاكوان البقرى»، والتى تشير المراجع العلمية إلى انقراضه

منذ ثمانية آلاف سنة. وقد تعرف العلماء عليه من خلال الحفريات التى تمت فى شمال أمريكا.

لكن.. فى صيف عام ١٩٧٥، كان دكتور رالف ويتيزيل، من جامعة كونيكتيكوت، يقطع منطقة الأشجار الخفيفة بجراند شاكو، فى باراجواى، ليقوم بتصنيف الحياة البرية، وجمع العينات، عندما وقع على دليل يفيد أن حيوان البقرى المنقرض، ما زال يعيش على الأرض!..

حدث ذلك بعد أن رجع إلى بيته، وانشغل بمراجعة مجموعة من الجماجم والجلود الحيوانية التى أحضرها معه من باراجواى، فوجد بينها جمجمة حيوان بقرى وجلده! رغم ظن الجميع أنه قد انقرض. عاد ويتيزيل مرة ثانية إلى منطقة جراند شاكو، وأخذ يجوبها حتى عثر آخر الأمر على قطعان كاملة من حيوان تشاكوان البقرى.. وفيما بعد، عرف من أهل المنطقة أنهم يطلقون النار عليه، ويأكلون لحمه. كما اكتشف ويتيزيل أن فرو ذلك الحيوان كان يباع لسنوات طويلة فى المتاجر الراقية فى نيويورك، ويستخدم فى تزيين المعاطف والقبعات.. دون أن ينتبه أحد من العلماء إلى ذلك..

ثعبان بلع صياداً:

ومن بين الحيوانات الغريبة، والمخيفة فى نفس الوقت، تلك الثعابين الضخمة التى تعصر ضحاياها حتى تقتلها، ثم تبتلعها كاملة!.. مثل البايثون والبوا والأناكوندا.. قصص ما زالت تثير

الفزع فى قلب كل من يسمعها.. قصة ثعبان البوا الذى ابتلع حمارًا، والزواحف الأخرى التى تبتلع الرجال.. وفى بورما عام ١٩٧٢، ابتلع ثعبان بايثون يبلغ طوله ستة أمتار، طفلا فى الثامنة من عمره.

ومن بورما أيضًا تأتى القصة المثيرة والدقيقة التى جرت وقائعها عام ١٩٢٧. كان بائع المجوهرات مونج تشيت تشاين قد خرج للصيد فى مقاطعة ثاتون، وأثناء عاصفة ممطرة، انعزل عن باقى رفاقه، فاحتمى بأغصان شجرة كبيرة، لكنه لم يظهر بعد ذلك. وقد عثر رفاقه، أثناء بحثهم عنه على قبعته وحذائه، إلى جوار ثعبان بايثون ضخم طوله ستة أمتار.. وعندما قتلوا الثعبان، وشقوا جوفه، وجدوا بداخله جسد تشاين، وقد ابتلعه الثعبان، بادئًا بقدميه.

وفى عام ١٩٧٩، كان الطفل جوهاينس ماكاو، من جنوب إفريقيا،و البالغ من العمر ١٤ سنة، قد خرج ليرعى قطيع الماشية فى مزرعة بشمال جوهانسبرج، فأمسك به ثعبان بايثون من قدمه، ثم لف نفسه حوله. وقد عثروا على الطفل ميتًا، وقد ابتلع الثعبان نصفه، فهاجم عمال المزرعة الثعبان بالفئوس.. كان طول الثعبان أربعة أمتار ونصفًا فقط، وهو يعتبر صغيرًا جدًا، بالنسبة لذلك الذى قتل رجلين، أحدهما فرنسى والآخر برازيلى، فى منطقة أراجويا بالبرازيل.

يحكى عالم الأحياء برنارد هويفيلمان عن واقعة لقاء بثعبان أناكوندە، بطلها رجل فرنسى يدعى سيرج بوناكيس رأى الثعبان

نائمًا فوق الحشائش، فأطلق عليه النار.. ويحكى «حاول الثعبان أن يهرب، وقام بحركات وتقلصات، لكننا أجهزنا عليه. لحظتها فقط اكتشفت كم هو هائل الحجم.. عندما سرنا على امتداد جسمه ونحن نشعر أننا لن نصل إلى نهاية له!.. لفت نظرى أكثر من أى شىء آخر، رأسه الضخم، مثلث الشكل، والذى يزيد طوله على ٦٠ سنتيمترًا.. ونظرًا لأننا لم نكن نحمل أدوات للقياس، فقد أخذ واحد منا قطعة من الحبل، وحدد عليها المسافة بين طرف إصبع الذراع الممدودة ونهاية الكتف البعيد.. على اعتبار أن ذلك يبلغ مترًا.. وعند قياس طول الثعبان بهذه الطريقة، وجدنا أنه لا يقل عن ٢٣ مترًا..».

حتى إذا تركنا هامشًا للخطأ فى ذلك القياس، فإن ذلك الثعبان يكون أكبر من أكبر الثعابين التى تم اصطيادها، وأحضرت إلى المعامل حية أو ميتة. حديقة حيوان برونكس، فى نيويورك، رصدت جائزة قدرها خمسة آلاف دولار، فى عشرينيات القرن العشرين، لكل من يستطيع أن يزودها بثعبان يزيد طوله على تسعة أمتار.. ثم رفعتها قرب نهاية القرن إلى ١٥ ألف دولار.

والمعروف، أن قياس طول الثعابين ينضوى على الكثير من الأخطاء؛ لأن جلد الثعبان يمكن مطه وبسطه بعد انتزاعه عن جسم الثعبان. ومن ناحية أخرى، يصعب القيام بقياس سليم للثعابين الحية، لأنها لا تظهر مفرودة أمام مؤشر القياس. ومن هنا، فإن تقديرات أصحاب الشهادات يمكن أن تتضمن الكثير من

المبالغات.. وأطول ثعبان باريثون معروف وحى، وفق قياس دقيق، وصل طوله إلى ثمانية أمتار، وهو موجود بحديقة حيوان بكنارسبو، فى يوركشاير بإنجلترا.

هيكل عظمى لحصان فى جوف الثعبان:

والقليل من الخبراء يقبلون باحتمال وجود ثعابين يتجاوز طولها ١١ مترًا. ومع ذلك فمن الصعب إهمال شهادة بعض أصحاب التجارب، من الموثوق بهم، حول ثعابين هائلة الحجم، قادرة على ابتلاع حصان بأكمله، أو قارب كبير، وتعيش فى غابات جنوب أمريكا.

المستكشف الشهير دكتور فاوسيت، الذى اختفى دون أن يظهر له أثر فى نهر الأمازون، والذى كان قد قتل ثعبانًا من نوع أناكوندة فى نهر (نيجرو). رأى رأس الثعبان تحت مقدمة قاربه بالضبط، فقال عن ذلك «أسرعت إلى مسدساتى بينما كان ذلك المخلوق يأخذ طريقه إلى الشاطئ، وصوبت رصاصة من عيار ٠,٤٤ إلى عموده الفقرى.. على الفور ظهر هياج شديد للزَّبَد، وضربات ثقيلة فى قاع القارب، فاهتز بشدة كأنما قد اصطدم بجذع شجرة فى النهر.. قفزنا إلى الشاطئ، واقتربنا من الثعبان فى حذر.. بقدر ما أتيح لنا، قسنا حوالى ١٤ مترًا خارج الماء، وخمسة أمتار داخله، مما يوحى بأن طوله يبلغ ١٩ مترًا. لم يكن جسمه سميكًا، فلم يكن يزيد على ٣٠ سم، وربما كان ذلك لبقائه بلا طعام لفترة طويلة..».

وهناك قصة أخرى مصدرها رحالة فى الأمازون يدعى جورج جاردنر، الذى عثر ذات يوم على ثعبان «بوا» ميت عند شجرة، مما يوحى بأن فيضان النهر دفعه إلى هناك.. كان أحد أصدقائه، سينهور لاجويرا، قد فقد حصانه المفضل بالقرب من ذلك المكان. وعندما فتح جوف الثعبان، وجد بداخله الهيكل العظمى الكامل للحصان، بما فى ذلك جمجمته.. وكان طول ذلك الثعبان ١١,٣ متر.

كما نشرت جريدة (دياريو)، إحدى الجرائد الإقليمية بالبرازيل، فى ٢٤ يناير ١٩٤٨، صورة ثعبان تحت عنوان يقول «أناكوندە تزن خمسة أطنان». ذكرت الجريدة جانبًا من ظروف الوصول إلى ذلك الثعبان، فقالت إن بعض القبائل من سلالات الهنود كانت تنتقل على امتداد شاطئ نهر الأمازون، عندما عثرت على ثعبان نائم، وقد ابتلع لتوه ثورًا صغيرًا، كانت قرونه لا تزال ظاهرة تتدلى من فم الثعبان. لف الهنود الثعبان بالحبال جيدًا، وقطروه فى النهر بزورق حتى (ماناوس). وهناك، استطاع سينهور سيجيل، مدير بنك (بوفو) المحلى أن يلتقط له الصورة التى نشرتها الجريدة. قال مدير البنك إنه اندهش بشدة عندما اكتشف أن طول الثعبان يصل إلى ٤٠ مترًا، وقطره يزيد على ٩٠ سنتيمترًا.

معركة علمية حول «القرد العنكبوت»:

صورة أخرى جاءت من أقصى جنوب أمريكا، ظلت طويلا محل نقاش وجدل محتدم بين علماء الأحياء.. التقطت الصورة فى عشرينيات القرن الماضى بواسطة عالم مرموق موثوق به،

هو فرانسيس دى لويز، الذى كان قد أعطى بيانًا بالواقعة لمجلة (اللاستريتيد لندن نيوز). قال:

«كنت فى ذلك الوقت أستكشف الغابات التى لم يطأها بشر، بالقرب من نهر تيرا، فى مقاطعة موتيلونيس بفنزويلا. فصادفت حيوانين، لم أكن وحدى الذى اندهش لمرآهما، بل شاركنى فى ذلك الحطّابان من أبناء المنطقة، اللذان كانا ضمن بعثة الاستكشاف. كان أفراد البعثة يستريحون عند منحنى من النهر تندفع فيه المياه بقوة، عندما ظهر الحيوانان.. ونتيجة لتحفزهما الواضح الذى يوحى بالعدوانية، لم يكن أمامى سوى أن أستعمل مسدسى.. سقط أحد الحيوانين ميتًا، أما الآخر فقد أصيب فقط، وفر هاربًا وسط الأدغال المتشابكة، مما حال دون الوصول إليه. فحصنا الحيوان الميت فحصًا دقيقًا، ثم أجلسناه على أحد صناديق المهمات، وجرى قياسه وتصويره من مسافة ثلاثة أمتار.. بعد ذلك جرى نزع جلده وتنظيف جمجمته وفكيه، على أمل العودة بها، الأمر الذى لم يتحقق نتيجة للعديد من المصاعب التى واجهتها البعثة.. عند الاختبار المبدئى، تبين أن ذلك الحيوان من فصيلة القردة العليا، ولكنه كان بحجم غير مألوف.. كما أن ملامحه كانت تختلف عن ملامح الأنواع التى تعيش فى تلك البلاد...».

قام العالم بقياس ذلك الحيوان، فوجد ارتفاعه يزيد على متر ونصف، كما قدر وزنه بحوالى ٥٠ كيلوجرامًا.. قال: إن الحيوان كان أنثى بالغة، يغطيها شعر رمادى طويل.. لكن الأهم من ذلك

كله أنه لم يكن لها ذيل، أو حتى أى أثر لذيل!.. وقد أشار إلى أن الحيوان كان يسير على قدميه الخلفيتين.

أرسل العالم فرانسيس دى لويز الصور، مصحوبة بتقرير علمى، إلى العالم الأنثروبولوجى الفرنسى الشهير دكتور جورج مونتاندو، الذى أعلن على الفور ـ لدهشة الأوساط العلمية ـ أن ذلك الحيوان من فصيلة القردة العليا.. وأنه يصلح لسد الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد فى القارة الأمريكية!.

أثار ذلك الإعلان جدلاً طويلاً لم ينته، وهاجموا ذلك الاستنتاج، وكان على رأس المهاجمين سير آرثر كيت، الزميل بالجمعية الملكية، فقد كتب عام ١٩٢٩ ساخرًا من العالم المستكشف دى لويز، زاعمًا أن ما وجده لم يكن سوى نوع كبير من القرد العنكبوت.. وتضمن هجومه تساؤلا: لماذا لم يضع المستكشف آدميًا إلى جوار الحيوان فى الصورة، حتى يمكن أن يظهر حجمه الطبيعى؟!

نمر كوينزلاند:

ولعل أغرب الحيوانات غير المعروفة فى العالم، هو ذلك الذى يجوب المناطق الشرقية من أستراليا: كوينزلاند، ونيوسوث ويلز. ونعنى بذلك نمر كوينزلاند الذى أثار دهشة ورعب عديد من الأستراليين.

ففى عام ١٩٧٢، رأى السيد جورج موار حيوانين يحومان حول ماشيته، فظنهما أول الأمر كلابًا، لكن عندما اقترب منهما،

اكتشف غرابة شكليهما، فقرر أن يلاحقهما بسيارته، قال: «لم يكونا يجريان كالكلاب، بل كانا يقفزان بالأقدام الأمامية، التى كانت تهبط إلى الأرض بالتتابع.. كانت حركاتهما أقرب إلى خبب الفرس، كان لونهما أسود، وارتفاع الواحد منهما ٦٠ سنتيمترًا على الأقل، مع جسم أسطوانى طويل، وذيل بطول الجسم. كانت السرعة القصوى لسيارتى ٧٢ كيلو مترًا فى الساعة، لكنى لم أستطع أن ألحق بهما.. وعندما اعترض طريقهما أحد الأسوار، قفز أحدهما فوقه، بينما ارتطم الثانى بأسلاكه، ولكنه سرعان ما استعاد عافيته وتسلق السور كالقط..»، وهكذا توقف جورج موار عن الملاحقة.

ومزارع آخر، كلايف بيرى، فقد المئات من ماشيته فى خمسينيات القرن الماضى، لكنه فشل فى اقتناص المعتدى فى جميع الحالات.. عن هذا يقول: «أنا شديد الاقتناع بأن ذلك المعتدى هو نوع من فصيلة القطط.. فالكلاب، والدينجو (وهو كلب أسترالى مفترس)، تنهش الخروف من أى جانب، ولا مانع لديها من أكل بعض صوفه، أما هذا الحيوان فمن عادته تنظيف اللحم من جسم الخروف، حتى ذلك الذى بين عظام الرقبة، أشبه بما يفعله القط المستأنس.. وعلى كل حال، فالأمر يحتاج إلى حيوان كبير يستطيع أن يخلص الخروف من لحمه بهذه الطريقة التى حدثت لخرافى..».

ذلك الحيوان، ظهر لمجموعة تصوير سينمائى كانت تصور فيلمًا، غير أنه ساعة ظهوره، لم يكن الفيلم داخل آلة التصوير!..

ومع ذلك فقد استطاعت هاوية أن تلتقط صورًا لذلك النمر الفكتورى فى عام ١٩٦٤، وهى الآنسة ريللا مارتن. ومن تلك الصورة، يمكن أن ترى بوضوح الخطوط التى على جسمه، ورأسه الذى يشبه رأس النمر.. فإذا أضفنا إلى ذلك طريقة حركته، نميل إلى القول بأنه ينتمى إلى فصيلة القطط الكبيرة.. ولا يشبه فى شىء ذلك الخليط الكبير من الحيوانات المعروفة فى شرق أستراليا.

يقول بعض العلماء إن ذلك الحيوان الغريب، لابد أن تكون له صلة بالنمر التسمانى، الذى تشير المراجع العلمية إلى وجوده بعد استعمار القارة الأسترالية، والذى توفى آخر واحد من جنسه فى حديقة الحيوان عند بداية القرن العشرين. ومع ذلك تفيد التقارير الحديثة وجود بعض النماذج الحية منه حتى الآن فى أستراليا.

فى عام ١٩٧٩، انضم شرطيان بالقرب من ديربى، شمال غرب أستراليا، إلى العدد المتزايد من أهل تسمانيا، الذين يقولون إنهم شاهدوا ذلك النمر. لكنهما كانا أكثر تعقلا من أن يقتربا منه!. والنمر التسمانى أكثر شبهًا بالذئب منه إلى القط، وإن كان يتميز بخطوط واضحة على جسده. وعندما امتحن سير ريتشارد أوين ـ عالم التشريح البريطانى المعروف ـ جمجمة الحيوان المنقرض، قال: «إنه واحد من أكثر الوحوش ضراوة وتخريبًا..». فقد كانت الأسنان والفكان على درجة هائلة من القوة. والنمر التسمانى فى حجم النمر المعروف، أو فى حجم

الكوجر الأمريكى. وقد كان كيسيًا، شأن الكثير من حيوانات أستراليا (أى يحمل أطفاله فى كيس فوق بطنه). يوجد لذلك الحيوان نابان غريبان للغاية على جانبى كل من فكيه، طول كل واحد منها أكثر من خمسة سنتيمترات.. والنابان المتقابلان يعملان كسلاحى المقص.

الماموث المنقرض:

ولعل أكثر الكشوف العلمية إثارة، هو أن يعثر العلماء على بعض وحوش ما قبل التاريخ، فى مناطق الأرض التى لم تكتشف بعد.. سواء فى مستنقعات إفريقيا، أو فى غابات التندورا من روسيا القطبية الشمالية، أو فى الهضاب المعزولة بجنوب أمريكا.. مثل الديناصورات، وباقى الفصيلة ذات الأسماء الطويلة.. وأن يعثروا عليها حية تتناسل وتسعى على الأرض!

عثر دكتور ويتزيل على خنزيره البقرى، الذى يصل ارتفاعه إلى ٩٠ سم، يجرى فى أنحاء باراجواى، فى قطعان ذات أعداد كبيرة منها، فى الوقت الذى كان علماء العالم يجمعون فيه على أن ذلك الحيوان كان قد انقرض نهائيًا منذ العصر الجليدى الحديث. كما أن تماسيح كيولو كانت مع غيرها من الزواحف، تعيش دون أن يطرأ عليها تغير منذ العصور التاريخية القديمة.

طفل الماموث الذى بقى عشرة آلاف سنة متجمدًا فى ثلوج سيبيريا.

ويعتبر «الماموث» من الحالات المستفزة.. فذاك الفيل الضخم الذى ينتسب إلى أزمان ما قبل التاريخ، كان يعيش فى سيبيريا فى أعداد هائلة منذ ما يقل عن عشرة آلاف سنة. ونحن نعرف شكله بالضبط، لأننا حصلنا على نماذج كاملة من جثمانه محفوظة فى الثلوج. وذلك عندما نقل الأستاذ السوفييتى ن. فريشاجن طفل ماموث إلى لينينجراد عام ١٩٧٧، مؤكدًا أن الماموث الصغير كان يأكل عندما قاده حظه السيئ إلى قبر الثلوج لذى وقع فيه.. وخلال القرون الثلاثة الماضية، تم العثور على ما يزيد على مائة ألف ناب من أنياب الماموث فى ثلوج سيبيريا.

ومما يقول به أفراد قبائل «الياكاتس» التى تعيش فى تلك المناطق، أنه عند إخراج جسم ماموث مجمد من الثلوج، تأكل كلاب القبيلة لحمه الذى يبلغ عمره عشرة آلاف سنة!.. فقد كان يبدو طازجًا، فى نفس الحالة التى كان عليها الحيوان عند دفنه فى الثلوج. وأبناء تلك القبائل يقومون باستخلاص الأنياب المعقوفة الكبيرة. وهناك اعتقاد شائع بين أبناء تلك القبائل بأن الماموث ما زال يعيش على الأرض حتى اليوم.

وقد حاول العلماء تفسير لغز اختفاء الماموث، بإرجاع ذلك إلى كارثة طبيعية، نتجت عن تغير جذرى فى الطقس، حول طقس شمال سيبيريا البارد الجاف الذى لم يعرف الجليد، إلى طقس يسوده الجليد الثقيل الذى يغطى المزروعات صيفًا وشتاء، مما يضاعف طبقة الثلج المتجمد فوق الأنهار.. هذا، بالإضافة إلى حدوث حفر فى الأرض ناتجة عن ذوبان الثلوج، كانت عبارة عن مقبرة جماعية هائلة.

جبل اللحم

إلا أن البعض ما زال يتعلق بأمل العثور، فى مكان ما من سيبيريا، على الماموث حيًّا!.. والقصص المتداولة عن وجود الماموث، ساعدت على التعلق بذلك الأمل.

وهناك قصتان، إحداهما تاريخية، والأخرى حديثة نوعًا، عن لقاء الماموث الحى.

فقد أوفد أحد قادة القوقاز، إيرماك لكيمو فييفيتش، جنوده لإخضاع بعض القبائل التى تعيش وراء الأورال. وعندما عاد الجنود أفادوا أنهم رأوا «فيلاً ضخمًا كثيف الشعر»، كان أهل المنطقة قد قتلوه، وراحوا يأكلون لحمه!.. وأنهم كانوا يطلقون عليه اسم «جبل اللحم».

وفى عام ١٩١٨، التقى القنصل الفرنسى فى فلاديفوستك، م. جالون، بصياد عجوز، روى حكاية غريبة للغاية، وقد سجل القنصل تفاصيل الرواية كما سمعها:

«فى السنة الثانية من سنوات استكشافى لمنطقة (تايجا)، دهشت جدًّا عندما رأيت آثار أقدام حيوان كبير، أكبر بكثير من أى آثار أقدام أخرى شاهدتها من قبل. كان الوقت خريفًا، ولم يتجمد كل شىء بعد، عندما شاهدت فى أحد السهول، تلك الآثار الضخمة مطبوعة بشكل عميق فى الطين.. كان طول أثر القدم ٦٠ سنتيمترًا، وعرضه ٤٥ سنتيمترًا.. وقد استمر وجود تلك الآثار، حتى اختفت داخل الغابة.. عندما حاولت اقتفاءها، شاهدت

فراغًا ضخمًا وسط أشجار الغابة، يصل ارتفاعه إلى ثلاثة أمتار، تكسرت فيه الأغصان بفعل ارتطام رأس كائن ضخم بها..».

ويواصل الصياد روايته، قائلاً إنه أخذ يقتفى تلك الآثار، حتى وجد آثار أقدام كائن آخر، ينضم إلى الكائن الأول. وفهمت من طبيعة الآثار أن الحيوانين فى مكان لا يبعد كثيرًا. كانت الرياح تأتى ناحيته، مما أتاح له أن يقترب دون أن تشعر به الحيوانات.. إلى أن يقول «وفجأة.. ظهر بوضوح أحد هذين الحيوانين.. فيل ضخم، بنابين هائلين أبيضين مقوسين بشدة. كان لونه كستنائيًّا داكنًا. وكان له شعر طويل فى الجزء الخلفى من جسمه.. أما النصف الأمامى فقد كان شعره قصيرًا..».

الغريب فى الأمر، أن هذا الوصف الدقيق للماموث، يتطابق مع ما أورده العلماء فى كتاباتهم، استنادًا إلى معلوماتهم التى استمدوها من دراسة الحفريات.

ولكن.. كيف حدث أن تعيش بعض فصائل ذلك الحيوان المنقرض؟.. واحد من الأسئلة العديدة التى تواجه علماء الأحياء والتاريخ الطبيعى، والتى لم يتم التوصل إلى إجابات مقنعة لها.

لغز الحلقة المفقودة!

بعد مرور كل ذلك الزمن، ما زالت نظرية دارون فى تطور الكائنات الحية، هى التفسير الأكثر شيوعًا وقبولاً عن بداية ظهور الإنسان على الأرض.. ومع ذلك، فهى لا تقدم تفسيرًا معقولاً لعدد كبير من عجائب وغرائب تطور الكائنات. والحلقة المفقودة بين الإنسان المعاصر وبين أشباهه من القردة العليا، ما زالت أبعد بكثير من أن تكتشف.

مع كل جمجمة قديمة تخرج من الأرض، يثور جدل لا ينتهى حول ما إذا كانت تلك الجمجمة تنتسب إلى (القرد ـ الإنسان)، أم إلى (الإنسان ـ القرد).. أم أنها لا تنتسب إلى أى منهما؟..

أدق التقديرات العلمية لنشأة فرع أسرتنا البشرية فى شجرة الحياة، تتراوح بين ٢٥ مليون سنة، و٥ ملايين سنة!.. أى أن العلم لم يستطع بعد أن يحدد المهد الذى شب فيه الإنسان المعاصر.. كما أن العلم لم يستطع أن يفسر: كيف ولماذا مرت أمخاخنا بتلك الطفرة النوعية، التى جعلت منا المخلوقات الفريدة على سطح الأرض؟..

السر فى تلك الشكوك، وتلك الحالة من عدم اليقين العلمى، لعلها ترجع إلى عاملين: فقر الأدلة، ثم صعوبة تحديد عمر العدد المحدود من الأدلة الذى وصل إلى أيدينا. فعلماء الآثار القديمة

يضطرون إلى الوصول إلى استنتاجات يعتمدون فيها على آثار محدودة.. ومن ثم، فإن الاستنتاجات غالبًا ما تكون خاطئة، إلى أبعد حدود الخطأ.

هذه الشكوك ما زالت قائمة، حتى بعد أن توصل العلم إلى طريقة تحديد التاريخ بالإشعاع الكربونى. وهى طريقة تعتمد على فكرة أن كل جسم عندما يدفن ينعزل عن دورة الكربون الطبيعية.. ومن هنا، يمكن أن نحدد عمر ما نجده مدفونًا من الأشياء الأثرية، بقياس معدل تفتتها النووى، على أساس ما تحتويه من الكربون المشع. ومع ذلك، فهذه الطريقة تفيد فى تحديد عمر الأشياء التى لا تتجاوز فى قدمها عام ٥٠٠٠٠ قبل الميلاد.. كما أن التقديرات التى تعطيها لهذه الأزمان البعيدة تحتمل تجاوزات تصل إلى ألفى عام، إلى الأمام أو إلى الخلف.

على أى حال، فهناك إحساس عميق بالتفاؤل بين علماء الآثار القديمة، فى أنهم سيعرفون قريبًا كيفية خروج الإنسان من فروع شجرة التطور.

الفأر الذى ورث العالم!

عندما اختفت الديناصورات من على سطح الأرض بطريقة غامضة للغاية، منذ ٦٣ مليون سنة، لم يكن من الممكن أن يخطر على بال أحد أن ذلك المخلوق الشبيه بالفأر، الذى يتقافز من فرع إلى فرع فوق الأشجار وسط الغابات الاستوائية الكثيفة، سيرث يومًا ما كوكب الأرض.. تلك الحيوانات

الصغيرة، التى لم تكن تزيد فى حجمها على قبضة اليد.. والتى كان لكل منها أنف أو خرطوم طويل، يشبه فم آكل النمل، والتى كانت قد لجأت إلى الأشجار حتى تنجو بنفسها من الديناصورات والثدييات الأخرى.

تلك الحيوانات الهاربة، نتيجة لوجودها فوق الشجر، تطورت بعد حقبة من الزمن، فتقاربت العينان، وتحركتا إلى مقدمة الوجه، بعد أن كانتا على جانبى الرأس.. الأمر الذى أتاح لتلك الحيوانات أن ترى الأشياء مجسمة.. فتحس بالمنظور، وتستطيع تمييز المسافات بشكل أكمل.. وهذا بدوره أتاح لها أن تقفز بشكل أكثر دقة بين الأغصان. ولأن ذلك الحيوان كان يعتمد فى الإمساك بالأغصان على إحاطتها بالأصابع والإبهام، فقد أصبحت يده على مدى الزمن أكثر قوة وكفاءة.

وكانت هناك بعض الفروق الدقيقة بين تلك الحيوانات وباقى الثدييات، لكن يبدو أن هذه الفروق كانت كافية لكى تضع تلك الحيوانات على بداية طريق حتمى فى شعاب التطور، ذلك الطريق الذى أوصلها إلى القردة والقردة العليا، وأخيرًا، الإنسان المعاصر.. خلال ذلك، لقى أفراد هذا الخط من خطوط التطور العديد من التقلبات القاسية فى المناخ، التى قضت على الكثير من أفراده. ومع تعاقب الأجيال، انكمش الأنف الشبيه بالخرطوم، فضعفت قدرة الحيوان على الشم.. وهكذا، وعلى سبيل التعويض، ازداد تقارب العينين، وتحركتا إلى واجهة الرأس، فأصبح نظر الحيوان أكثر حدة.

فى تلك الحيوانات، التى تعتبر الأسلاف الأولى للقردة، ترى الإرهاصات الخافتة لأول بادرة ميزت الجنس البشرى عن غيره من الكائنات، بشكل أساسى، نعنى بذلك «المخ».. الذى بدأ فى حجم حبة الفول، ثم أخذ فى النمو بعد ذلك.. والأهم من ذلك، ما ظهر على ذلك المخ من عنصر مستجد، نعرفه اليوم باسم «الغشاء الرمادى»، أو (سيريبرال كورتكس).. وهو المسئول عن تحقيق التوافق بين الحركات المركبة للعضلات، وبين المعلومات الواردة من الحواس الخمس. أخذ هذا الجانب من المخ فى النمو بشكل مطرد، واحتل مكانة أكثر أهمية من باقى أجزاء المخ.

عند نقطة ما على امتداد طريق التطور، تشعبت القردة، والقردة العليا، والإنسان.. لكن، متى حدث ذلك؟.. ولماذا؟.. وكيف؟.. لقد بقيت هذه التساؤلات محل نقاش وجدل على مدى ما يزيد على قرن من الزمان.. وما زالت لا تجد إجابة مقنعة لها.

تحدى نظرية دارون:

الشىء الوحيد الثابت، هو أن الإنسان يختلف بشكل فريد عن باقى أفراد رتبة الحيوان الرئيس، أو الرئيسات، وهى أعلى رتب الحيوانات الثديية. وهناك ـ على الأقل ـ ٣١٢ سمة طبيعية تفرق بين الإنسان وأبناء عمومته. من بينها اختفاء الشعر من على الجسم، والمشية الرأسية، وقلة حيلة الأطفال، وامتداد فترة الطفولة.. الأمر الذى اقتضى أن يعيش الإنسان فى مجتمعات لحماية أفراد جنسه. ولعل من أهم هذه السمات، ذلك الرأس الكروى، وتلك الجمجمة الرقيقة التى تحتوى على ذلك المخ، الذى

يعتبره العلماء أكبر مما تتطلبه احتياجاتنا الظاهرة. ويبدو أن هذا المخ قد كبر إلى حجمه الحالى، بعد عدد من القفزات النوعية، التى تفجرت بشكل يصعب تفسيره.

ولا يمكننا أن نقلل من قدر هذه الظاهرة، ظاهرة حجم المخ البشرى، وطريقة تركيبه.. فهذا هو الذى أتاح لنا ـ من بين جميع الكائنات التى على سطح الأرض ـ أن نتحكم فى طريقة حياتنا، وأن ننمى فى أنفسنا حواس التذوق الجمالى، ولأن نتأمل فيما يمكن أن يحدث بعد الموت.

هذا المخ البشرى، بقى كعلامة استفهام معلقة أمام نظرية دارون فى تطور الأنواع بالانتخاب الطبيعى. ألفريد والاس، الذى كان صديقًا لدارون، والذى توصل منفردًا إلى نفس مبادئ نظرية دارون فى تطور الكائنات وفى نفس الوقت دون أن يكون بينهما أى اتصال فى فترة الاكتشاف المشترك.. تكلم والاس عن نقطة المخ البشرى كثيرًا، وكتب يقول:

«إننا فى نظرية الانتخاب الطبيعى، قلنا إن الطبيعة لا تعطى لكائن ما من المزايا أو جرعات التطور إلا ما يحتاج إليه فى حياته اليومية.. ومع ذلك، نراها أعطت الإنسان منذ البداية تلك الأداة ـ المخ ـ التى جاءت أكثر تطورًا من احتياجات الإنسان فى حياته اليومية. فلا يمكن تفسير العبقرية، أو حتى المواهب العادية، فى الفن والرياضيات والموسيقى، على أساس الانتخاب الطبيعى، أو أساس الصراع من أجل الوجود..».

ومع ذلك، لم تسقط نظرية دارون حتى اليوم، بالرغم من الهجوم المتزايد الذى تواجهه، باعتبار أنها فشلت فى تفسير العديد من الحالات الشاذة فى مسار التطور.. وبقى مبدأ الانتخاب الطبيعى، حتى اليوم، كدليل لا يخيب فى تفسير وجود معظم الكائنات الحية.

إنسان نيندرثال:

خلال عملية البحث عن أجداد الإنسان الحالى، اعتمد العلماء على ملاحظة ثلاثة عناصر، فيما يعثرون عليه من عظام متحجرة فى الحفريات التى يقومون بها:

- حجم المخ.
- وانتصاب القامة.
- وانبساط الأسنان.

والملاحظ أن ما عثر عليه العلماء فى هذا المجال، حتى الآن، قليل للغاية.. وذلك القدر القليل لا يتيح إعطاء صورة مقبولة لذلك الإنسان الأول. ولعل السبب فى ذلك أن عدد أفراد الإنسان الأول كان قليلاً نسبيًا، كما أن تحول الجسم إلى متحجرات، كالتى نصل إليها فى الحفريات، لا يتحقق إلا من خلال نهايات خاصة لحياة ذلك الإنسان.

وهكذا، بقيت الحلقة المفقودة على نفس غموضها حتى يومنا هذا.

الذى نعرفه أن الإنسان المنتصب (هومو إريكتاس)، هو أقرب الأصول إلى الإنسان المعاصر، لكننا ما زلنا لا نعرف من أين أتى ذلك الإنسان الذى سار على قدمين لأول مرة، ولا نعرف صلة ذلك الإنسان المنتصب بما نطلق عليه «الإنسان ـ القرد».

وحتى التطور الذى طرأ على الإنسان المنتصب، والذى أوصله إلى الإنسان الحالى، لم يتم فى مسار واحد.. لقد حدث شىء غريب فى تطور الإنسان المنتصب، وبدا أنه بعد الوصول إليه، قررت الطبيعة أن تمضى فى طريقين مختلفين للبحث عن الصورة الأمثل.. خرجنا نحن من أحد هذين الطريقين، بينما خرج من الطريق الثانى إنسان آخر، يطلق عليه اسم «إنسان نيندرثال».

من بقايا هذه المرحلة من مراحل تطور الجنس البشرى، يوجد العديد من الجماجم وعظام الهيكل العظمى، لكل خطوة من خطى التطور، مما يتيح بناء تصور لحياة الكائنات فى تلك المرحلة الزمنية. ومع ذلك، يبقى لغز أصل الجنس البشرى، على حاله من إثارة الحيرة والخلط.

رالف سوليكى، أستاذ الآثار القديمة فى جامعة كولومبيا بنيويورك، والذى أشرف على التنقيب عن إنسان نيندرثال فى شانيدار، شمال العراق، يقول «بالرغم من أننا نعرف الكثير عن إنسان نيندرثال، فإن ذلك الإنسان يبدو معلقًا فى الفضاء بين فروع شجرة التطور البشرى..».

روسى أبيض أم وحشى؟

ومن ناحية أخرى، تتجمع لدى الهيئات العلمية العديد من الروايات ووقائع المشاهدة لكائنات ما زالت تعيش على الأرض!.. مما يجعل البعض يعتقد أنها الأثر الباقى من شعاب التطور، التى قادت إلى الإنسان المعاصر.

ففى عام ١٩٢٥، بينما كان الجنرال ميخائيل استيفانوفيتش توبيليسكى يلاحق فلول قوات الجيش الروسى الأبيض، بعد تراجعها إلى جبال بامير فى جنوب روسيا، عثر رجاله على آثار أقدام بشرية على الجليد، وكانت هذه الآثار تؤدى إلى صخرة شديدة الانحدار يصعب على الإنسان تسلقها. إلى جوار تلك الآثار، عثروا على براز أشبه ببراز الإنسان، به بقايا من الثمار الجافة الشبيهة بالتوت، ثم سمعوا أصوات حركة قادمة من أحد الكهوف القريبة، ففتحوا نيران مدافعهم الرشاشة على الكهف، لإصابة ما تصوروه فلول الجيش الأبيض.

بعد قليل، خرج إليهم من ظلام الكهف مخلوق متوحش يشبه الإنسان، يغطى الشعر جسده، وتصدر عنه أصوات غير متميزة تعبر عن ألمه، ثم سقط ميتًا عند أقدامهم.. وكانت تلك فرصة نادرة، يقع فيها الكائن الشبيه بالإنسان، فى حالة تصلح لدراسته.

التقرير الذى تقدم به توبيليسكى يكشف عن حيرته الشديدة أمام ذلك المخلوق المصاب بنيران جنوده..

فيقول: «للوهلة الأولى، تصورت أننى أمام جسد واحد من فصيلة القردة العليا، فقد كان الشعر يغطيه تمامًا.. لكنى كنت أعرف بعدم وجود قردة عليا فى جبال بامير.. بالإضافة إلى أن جسد ذلك المخلوق كان يبدو شديد الشبه بجسم الإنسان..».

وجاء فى تقرير أحد الأطباء الذين عرض عليهم ذلك المخلوق «لم يكن إنسانًا مثلنا، ومع ذلك لم أستطع أن أتبين أى فرق تشريحى هام بينه وبين الإنسان.. عضو التناسل كما هو عند الإنسان.. طول الذراعين عادى.. الكفان أعرض قليلا.. والقدمان أعرض وأقصر من قدمى الإنسان..».. باختصار كان ذلك المخلوق إنسانيًا فى تكوينه، رغم الاختلافات الطفيفة التى أشار إليها..

ثم قال الطبيب فى تقريره: «كانت العينان داكنتان، والأسنان منتظمة ومصفوفة مثل أسنان الإنسان.. كانت جبهته مائلة، يبرز منها حاجبان كثيفان للغاية. وعظام الفكين الناتئة جعلت الوجه يبدو أشبه بوجوه السلالة المنغولية. وأيضًا كان الأنف مسطحًا، بينما كان الفك الأسفل كبيرًا للغاية..».

من فرط الشبه بين ذلك المخلوق والإنسان.. وهو يرتمى ميتًا، بعينيه مفتوحتين، وأسنانه عارية، لم يستطع أفراد الفرقة العسكرية أن يأخذوه معهم، فدفنوه تحت كومة من الأحجار، بنفس الطريقة التى يعتقد الروسى أن أسلافه من النيندرثال قد اعتادوا أن يدفنوا بها موتاهم منذ ٤٠ ألف سنة!

إن أى طالب يدرس علم الآثار القديمة، ويقرأ ذلك الوصف، لا يجد صعوبة فى اكتشاف الصلة الوثيقة بين ذلك المخلوق وبين ما يعرف بالتركيب التشريحى لإنسان نيندرثال، إلى حد أن وصف الجمجمة بدا كما لو كان قد استخرج من كتاب دراسى.. الشىء الوحيد الذى قد نتوقف عنده، هو الشعر الذى يكسو جسد ذلك المخلوق، فالصورة المعروفة لإنسان نيندرثال لم تكن تتضمن شعرًا يكسو الجسد.. على كل حال، الصورة التى رسمها العلماء لإنسان نيندرثال اعتمدوا فيها على إعادة تركيب العظام، ومن ثم يكون من الصعب عليهم أن يجزموا بأنه كان بلا شعر يغطى جسده.

إنسان الثلج البغيض!

تعددت الروايات عن الالتقاء بحلقات تطور الإنسان التى ما زالت تعيش على أرضنا، فى الأماكن المهجورة، والتى يصعب على الإنسان ارتيادها.. فى جبال الهيمالايا، وجبال جورجيا، وفى شمال غرب أمريكا وكندا.. كذلك تعددت الأسماء التى يطلقها الإنسان على تلك المخلوقات، منها «إنسان الجبال»، و«إنسان الثلج البغيض»، و«ذو القدم الكبيرة»..

سر الاهتمام الواسع بين العلماء بدراسة هذه المخلوقات، أملهم فى أن يعثروا، من خلال تلك الكائنات، على الحلقة المفقودة فى التطور، الذى قاد إلى الإنسان المعاصر.

رسم لإنسان الثلج البغيض، من واقع المشاهدات.

فى عام ١٩٧٨، نظمت جامعة كولومبيا البريطانية مؤتمرًا أكاديميًا، تقدم إليه الباحثون بحصيلة جهودهم على شكل ٣١ ورقة بحث منفصلة، هى خلاصة جهد جامعات العالم فى هذا المجال.. ففى روسيا يوجد قسم كامل مخصص لدراسة وبحوث «إنسان الجبال»، فى جامعة تبليسى بجورجيا، أوكل الإشراف عليه إلى الأستاذ بارتشاك ابراموف.. وبين الحين والآخر، تخرج علينا وكالة أنباء الصين الجديدة بأخبار عن صينيين عثروا فى التبت على نماذج من إنسان الثلج، بعد أن أطلقوا عليه الرصاص.

ومن الطبيعة البكر المتوحشة على جانبى جبال كاسكيد، والتى تمتد على استقامة الشاطئ الباسيفيكى لأمريكا وكندا، تأتى مئات التقارير عن رؤية صاحب القدم الكبيرة، الذى يطلقون عليه «ساسكواتش».

فى عام ١٩٧٩، وصلت بعثة بريطانية إلى قمة من قمم جبال هيمالايا ترتفع ٤٥٢٠ مترًا، فكان أفراد هذه البعثة أول بشر يصلون إلى تلك القمة. عند وصول البعثة اكتشف أفرادها علامات أقدام متميزة على الجليد فى وادى هينيكن، كما سمعوا نداءات أشبه بالصرخات. وقال جون إدوارد قائد فريق المتسلقين «..وهناك دليل قوى على وجود مخلوقات غريبة فى جبال هيمالايا.. ومن بين آثار الأقدام الكبيرة التى وجدناها، كانت هناك نماذج واضحة، وأعتقد أن الصور التى التقطناها لهذه الآثار تعتبر أفضل الصور فى هذا الصدد.. عندما استمعنا

إلى الصرخات الحادة، قال مرافقونا من الشيربا؛ أهل الجبل: إنها صرخات (اليتى)».

و(ييتى) هو أحد الأسماء الشائعة لإنسان الثلج البغيض..

ورغم أن معظم علماء الحيوان يسخرون من فكرة إمكان وجود مخلوقات شبيهة بالإنسان لم يتم اكتشافها بعد - مخلوقات تسد فراغ الحلقة المفقودة فى تسلسل تطور الكائنات - فإن واحدًا من أعظم علماء الحيوان هؤلاء، وهو تشارلز دارون، كان قد وضع الأساس النظرى الذى يعتمد عليه صيادو إنسان الييتى. ورغم أن العلماء، حتى ما بعد منتصف القرن الماضى، قد استمعوا إلى الشهادات التى تراكمت حول الييتى باستنكار، واعتبروا أن إنسان الجليد لا يخرج عن كونه أسطورة من الأساطير، فقد تغير الموقف بعد ذلك، نتيجة ظهور أدلة جديدة تتزايد قوتها يومًا بعد يوم.

الفتاة المخطوفة:

الكثير من الروايات المتعلقة بالييتى تأتى من جانب قبائل شيربا..

فى دير تيانجبوتش المقام فى كنف قمة إفرست الشاهقة، يتحدث رئيس دير الرهبان باقتناع عن كائنات ييتى التى تتجول فى حديقة الدير. وفى كل عام، تصل الروايات التفصيلية عن هجمات الييتى إلى كاتمندو.. من بينها قصة الفتاة لاكبا دومانى من قبائل شيربا، التى كانت تجلس إلى جانب مجرى

مائى، ترعى حيوان الياك (وهى ثيران التبت الضخمة ذات الصوف الطويل).

سمعت الفتاة أصواتًا، فاستدارت برأسها لتواجه مخلوقًا يشبه القرد، له عينان واسعتان، وعظام وجنتيه بارزة، وكان جسد ذلك المخلوق يغطيه شعر أسود وبنى يميل إلى الحمرة. أمسك المخلوق بالفتاة، وحملها إلى الماء، لكن يبدو أن صرخاتها قد أربكته، فأسقطها من بين يديه، واتجه إلى الثيران، فقتل أحدها بضربة من يده، وقتل الآخر بأن أمسكه من قرنيه وكسر رقبته.

أبلغت الشرطة بالحادث، فهرع رجال الشرطة إلى المكان، ولم يعثروا سوى على أقدام اليتى بعد هروبه.

إثبات وجود اليتى يعتمد على ثلاث دلائل:

- آثار الأقدام.
- روايات شهود العيان.
- الآثار المادية مثل الجماجم والجلود.

وبالطبع، لا يخلو الأمر من المتشككين الذين يرون فى آثار الأقدام آثارًا عادية شوهتها الشمس، أو تحولات الجليد. وأن هذه الآثار قد تكون لدب التبت الأزرق، والذى هو أيضا من الحيوانات التى يندر العثور عليها.. وهم أيضًا يرجعون آثار هذه الأقدام إلى بعض أنواع القردة التى تعيش فى تلك المناطق، أو إلى الحيوان المعروف باسم «نمر الجليد».

إلا أن البعثات التى توجهت إلى تلك المنطقة، استطاعت أن تلتقط صورًا فوتوغرافية واضحة، وتصنع قوالب من الجبس لآثار الأقدام فى الجليد، فحصلت على أدلة مادية تبدد هذه الشكوك. من بين هؤلاء إريك شيبتون الذى استطاع أن يلتقط صورًا واضحة لآثار الأقدام، بعد أن وضع فأسه إلى جوار أثر القدم، حتى يوضح حجم القدم.

كذلك استطاع كل من ماكنيلى وكرونين، وهما من أعضاء البعثة الأمريكية التى أوفدت سنة ١٩٧٢، أن يصنعا قوالب من الجبس لآثار القدمين. أما لورد هانت فقد نجح فى التقاط صورة واضحة عام ١٩٧٨تظهر فيها القدم الضخمة التى يبلغ طولها ٣٥,٥ سم، وعرضها ١٧,٧ سم. كما استمع لورد هانت إلى صيحات ذلك المخلوق الحادة، فقال: «نحن لا نجد تفسيرًا آخر، سوى أننا أمام مخلوق لم نعرفه من قبل، وعلينا أن نكتشفه!..».

فروة الرأس المزيفة:

لقد رأى ذلك المخلوق رجالا لا يشك فى أمانتهم ودقتهم، ومن بينهم دون ويلانز، بطل تسلق قمة إفرست، والذى كان قد وصل إلى جبل أنابورنا فى يونيو عام ١٩٧٠، فكتب يقول: «كنت حريصًا على أن أجد مكانًا أقيم فيه الخيام لتمضية الليل، وعندما اقتربنا ببطء من أنف الجبل، سمعت صوتًا يشبه اندفاع طائرة من خلفى. نظرت إلى رجل من الشيربا، فقال: «اليتى قادم يا صاحبى..». درت حول نفسى متطلعًا إلى الجبل، فرأيت غرابين أسودين يطيران هاربين، ثم لمحت ذلك الجسم الأسود

يختفى متربصًا خلف إحدى الحافات.. بدأت أفكر فى كيفية مواجهته إذا ما هجم علينا، لكنه اختفى، فعدت إلى ترتيبات إقامة المخيم.. وفى اليوم التالى، عندما كنت أتفقد الوجه الجنوبى للجبل، رأيت آثار أقدام ذلك المخلوق على الثلج. كان عمق الأثر فى الثلج حوالى ٤٦ سنتيمترًا».

ويواصل دون ميلانز روايته قائلاً: «وبعد ذلك فى مساء نفس اليوم، وكانت الليلة مقمرة، أخرجت رأسى من فتحة الخيمة، لأجد ضوء القمر قويًا، إلى حد أننى كنت أستطيع القراءة على ذلك الضوء.. ثم لمحت شيئًا يتحرك، وبعدها ظهر ذلك المخلوق الشبيه بالقردة العليا فى حركاته، يتقافز وهو يخطو بشكل مضحك قاصدًا نقطة معينة، اكتشفت بعد عدة أسابيع، عندما ذاب الثلج، أنها أجَمَة من الأشجار.. كانت حركة ذلك المخلوق توحى بأنه يجذب بعض الأغصان. بقيت أراقبه لعشرين دقيقة، وأنا أتفحصه من خلال المنظار المعظم.. فتبينت أنه أسود اللون، وتأكدت من الشبه الذى بينه وبين القردة العليا.. ثم فجأة، بدا كما لو أن ذلك المخلوق قد أحس بأنه مراقب، فاندفع هاربا إلى سفح الجبل..».

فى عام ١٩٧٨، كثرت التقارير - وخاصة فى مدينة سيكيم - عن هجمات اليتى على السكان. فأرسلت إدارة الغابات سلسلة حملات لمهاجمتها دون جدوى. ومن أهم البعثات التى كرست لكشف لغز اليتى، تلك التى مولتها مؤسسة دائرة المعارف العالمية الأمريكية.. بدأت البعثة عملها عام ١٩٦٠ بقيادة ديزموند دويج، وإدموند هيلارى الذى كان أول إنسان يقف على

قمة إفرست . امتد عمل البعثة إلى عشرة أشهر، فى شتاء غاية فى القسوة، وأقامت فى المنطقة التى وردت منها أكثر تقارير المشاهدة. لقد زودت البعثة بجميع المهمات اللازمة للتصوير، بما فى ذلك التصوير بالأشعة الحمراء.. لكن البعثة لم تعثر على كائن واحد من تلك الكائنات.

وقد استطاع هيلارى أن يقنع سكان قرية كامجانج بإعارته ما يقولون إنه فروة رأس أحد مخلوقات اليتى.. وكانت الإعارة لمدة ستة أسابيع لدراستها علميًا. قام بعرض الفروة على العلماء فى عديد من البلاد.. فى هونولولو، وشيكاغو، وباريس، ودخل بها قصر باكنجهام.. وكان فى ترحاله هذا يصحب معه حارس الفروة كانجو تشومبى، أحد أفراد القرية الذى اختارته القرية لهذه المهمة، وكان فى كل لقاء يقلد للمستمعين حركات وصيحات اليتى.. المضحك فى الأمر أن البحث أثبت بعد ذلك أن هذه الفروة مزيفة.. وأنها مصنوعة من جدائل شعر الماعز!

ذو القدم الكبيرة:

وفى شمال إفريقيا، يوجد مخلوق آخر يشبه اليتى. ومن فرط تعدد المشاهدات، واهتمام أهل المنطقة بأمره، صدرت جريدة خاصة منتظمة الطبعات يطلق عليها اسم «أخبار ذى القدم الكبيرة». ومن وقائع مشاهداته تلك الواقعة التى جرت فى غابة مونت هود، شمال أوريجون. كان الحطابون الثلاثة أوزبورن وروورك وكوشران يعملون فى منطقة خالية من الغابة. وذات

صباح من شهر يوليو، بينما كان كوشران منهمكًا فى عمله، رفع رأسه ليرى مخلوقًا يشبه الإنسان، واقفًا عن بعد يراقبه. كان المخلوق ضخم الجسم، يغطيه شعر داكن، ويسير منتصبًا، ثم شاهده بعد ذلك يختفى داخل الغابة.

ويحكى أوزبورن عن اللقاء التالى، فيقول: «فى اليوم التالى، كنت أعمل مع رورك، ثم قررنا أن نستريح قليلا، فسرنا إلى حافة الغابة.. وفجأة، خرج لنا ذلك المخلوق الضخم من بين الأعشاب، على بعد لا يزيد على تسعة أمتار. كان يغطيه شعر داكن.. وكان يغطى رأسه ووجهه أيضًا، وعندما استدار منصرفًا، حاول رورك أن يتعقبه فلم يفلح فى ذلك».

والروايات التى تحكى عن لقاء بذى القدم الكبيرة، أو «ساسكواتش»، تتلاحق فى كندا منذ أكثر من ثلاثة أرباع القرن. منها ما جرى عام ١٩٢٨ فى كندا للهندى ماتشالات هارى. حكى الأب أنتونى ترهار أن ذكرًا من ذوى القدم الكبيرة اختطف الهندى وحمله إلى «معسكر» لهذه المخلوقات!. يقول الهندى إنه رأى حوالى عشرين من هذه المخلوقات، فيهم الزوجات والصغار، ولم يحدث أن أصابه أحد بأذى.. واحتفظوا به قليلا، ثم فتر اهتمامهم به، فاستطاع أن يتسلل هاربًا إلى النهر، ويركب قاربه (الكانو) ليعود إلى أهله. لقد استمع إليه القس ترهار بعد عودته من تلك المغامرة، عاريًا إلا من ملابسه الداخلية الممزقة.. لقد عاد الهندى ماتشلات من هذه التجربة أشيب الشعر تمامًا!

«صاحب القدم الكبيرة»، المعروف فى الشمال الأمريكى باسم «ساسكاتشوان»، كما صوره النحات جيم ماكلاوين فى هذا التمثال الخشبى.

ورواية أخرى يرويها جلين توماس، يعمل هو الآخر حطّابًا فى منطقة أستكادا بأوريجون، كان يسير فى ممر على جبل رواند عندما سمع صوتًا، قال: «كانت الأشجار تخفينى، ومن خلالها استطعت أن أرى ثلاثة مخلوقات ضخمة تدق على كومة من الصخور، وكانت تنطبق عليها أوصاف صاحب القدم الكبيرة، الشعر الذى يغطيها، والأيدى الضخمة، وبنيان الجسم القوى للغاية.. كانوا ذكراً وأنثى وطفلا، يرفعون الأحجار.. ثم مال الذكر، وأخرج بيده عشًّا به صغار بعض القوارض، وأكلها..».

الفيلم المضحك:

ولعل أكثر الأدلة إثارة هو ذلك الفيلم السينمائى الذى التقطه روجر باترسون من شمال كاليفورنيا، فى عام ١٩٦٧. اللقطات الواضحة من ذلك الفيلم تصور مخلوقًا من هذه المخلوقات، وكانت أنثى بالتأكيد فقد ظهر الثديان والردفان الكبيران.. فى الفيلم كانت هذه الأنثى تتبختر فى خطوات مرحة مما كان يقابل بالضحكات الطويلة ممن كانوا يشاهدون الفيلم لأول مرة.

وقد حظى الفيلم بدراسات جادة، وتحليلات دقيقة، على يد دكتور د. جريف، من مستشفى رويال فرى فى لندن، كما حظى بدراسة مجموعة من العلماء الروس.

عن طريق المقارنة مع أفلام أخرى، تم فيها تصوير إنسان من البشر فى نفس المكان الذى ظهر فيه المخلوق فى الفيلم الأصلى،

أمكن للدكتور جريف أن يقدر ارتفاع المخلوق بحوالى مترين. ومن الواضح أن قياس الأكتاف وعرض الأرداف يتجاوز بكثير القياسات البشرية. وجرى تقدير وزن المخلوق بحوالى ١٢٧ كيلوجرامًا. كما أن اتساع خطوته يزيد على المتر. وقد خلص الباحثون إلى أن ذلك المخلوق الذى يظهر فى الفيلم يصعب أن يكون مزيفًا، أو أن يكون إنسانًا متنكرًا..

وقد قام ثلاثة من العلماء السوفييت، هم الدكاترة: بايانوف، وبارتسيف، ودنسكوى، بدراسة الفيلم دراسة متأنية فى موسكو.. ووصلوا تقريبًا إلى نفس استنتاجات دكتور جريف، وقالوا إن أقرب مرحلة من مراحل تطور الإنسان إلى ذلك المخلوق هى مرحلة إنسان (جافا)، والذى تطور عن نفس الأصل الذى تطور عنه الإنسان المعاصر.

آلما الأسير:

وفى مقابل ييتى وساسكواتش، يوجد «آلما» فى روسيا.. فمن سيبيريا والاستبس الروسية والجبال القوقازية، خرجت العديد من الروايات عن مشاهدة مخلوقات شبيهة بالإنسان، كالتى التقى بها الجنرال توبيلسكى، وأشرنا إليها من قبل.

وخلال الحرب العالمية الثانية، ذكر السجناء الهاربون من الألمان والروس رؤيتهم للمخلوق آلما. يحكى سلافومير رافيكس فى كتابه «المسيرة الطويلة»، عن هروبه الذى قطع فيه ما يزيد

على أربعة آلاف ميل، من معسكر عمل بسيبيريا إلى الهند. ويقول إنه التقى فى مسيرته بمخلوق ذكر وآخر أنثى، اعترضا طريقه لمدة ساعتين، واضطراه إلى الالتجاء إلى طريق آخر محفوف بالمخاطر.

كما يحكى أحد السجناء الذين فروا من أحد السجون السوفييتية، كيف وقع أسيرًا فى أيدى الجنود الصينيين، فوجدهم قد اصطادوا أحد مخلوقات آلما، وكانوا يقدمون إليه الطعام كل يوم، قطعة من السمك، وجانبًا من رغيف الخبز الأسود.. يصف هذا المشهد فيقول: «قفز المخلوق فوق المائدة، وجلس على مؤخرته قابضًا على الرغيف، يأكل منه.. كان طوله لابد يصل إلى مترين، كما كان له أنف عريض، وعينان مائلتان صغيرتان محدقتان. لم أر فى حياتى مخلوقًا له قوة ذلك المخلوق.. الجسد قصير، والساقان قصيرتان.. ويغطى صدره وكتفيه وذراعيه شعر بنى مائل إلى الاحمرار. وكانت كفاه شديدتا الشبه بكفى الإنسان.. أمضى بعض الوقت يأكل الخبز، وجانبًا من السمك الذى قدم إليه، ثم أطلق بعض النخير الحيوانى، وهبط من فوق المائدة، يسير متثاقلا.

من الواضح أن آلما يتميز عن ييتى بشدة، فهو يقيم فى المناطق الجبلية التى يصعب على البشر الوصول إليها، من القوقاز غربى روسيا، إلى التاى وصحراء جوبى فى منغوليا شرقًا. وتفيد جميع التقارير أن آلما أكثر شبهًا بالإنسان، قياسًا على ييتى الذى يشبه القردة العليا.

وفى متحف دارون بروسيا، تتخصص مجموعة من العلماء فى دراسة آلما. وهم يقولون إن وقائع مشاهدة ذلك المخلوق تعود إلى أيام الأستاذ العظيم بريسفالسكى، المستكشف وعالم الحيوان الشهير فى القرن التاسع عشر، والذى كان أول من اكتشف الحصان المنغولى البرى الذى حمل اسمه فيما بعد. فى حملته الاستكشافية عام ١٨٧٩، ذكر القوقازى إيجروف، أحد أفراد الحملة، أنه رأى العديد من البشر المتوحشين، يغطى أجسامهم الشعر، ويطلقون صيحات غير مفهومة.

سنداى.. مخلوق سومطرة:

بالإضافة إلى ييتى وساسكواتش وآلما، هناك أيضًا سنداى!

فى يونيو عام ١٩٥٨، ذكرت وكالة أنباء رويتر أن أهل قرية باباموللى فى جنوب سومطرة أسروا مخلوقًا غريبًا، يعتبر نوعًا مجهولا من المخلوقات القريبة من الإنسان. قالت الوكالة إن المخلوق كان أنثى، يقدر عمرها بحوالى ١٧ عامًا.. كانت مغطاة بالشعر تمامًا، من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين. وقد أشارت الوكالة إلى أن أهالى سومطرة يطلقون على ذلك المخلوق اسم «سنداى».

وكانت حكومة هولندا قد رصدت ذات مرة جائزة مالية لمن يستطيع أسر أحد هذه المخلوقات حيًا. وعندما استطاع الأهالى اصطياد واحد من هذه المخلوقات، تقدموا إلى حكومتهم عارضين عليها تسليمه مقابل المكافأة المادية المعلن عنها، لم

تبد حكومة سومطرة استعدادها لدفع المكافأة التى سبق الإعلان عنها.. فما كان من الأهالى إلا أن أخذوا ذلك المخلوق إلى الأدغال، وأطلقوا سراحه!.

وقد جاء فى تقرير وكالة الأنباء أن ذلك المخلوق رفض أن يتناول أى طعام أثناء الأسر، كما أنه لم يبذل أى مجهود لتحرير نفسه، أو مقاومة الأهالى الذين تجمعوا حوله.

و أيضا «جاكو» الأمريكى:

لقد عاش سكان المناطق الجبلية من الجانب الشمالى الغربى لأمريكا، من كاليفورنيا إلى كولومبيا البريطانية.. عاشوا فى خوف دائم من عمالقة لها شعر يكسو جسدها، تسكن أعماق الغابات فى تلك المنطقة. مع العلم أنه عندما تحدث سكان المنطقة من الهنود الحمر عن هذه المخلوقات المخيفة، التى أطلقوا عليها اسم «ساسكواتش» سخر الرجل الأبيض من قولهم، واعتبروا الأمر خرافة تضاف إلى الخرافات الأخرى البدائية.

ولكن، مع مرور الزمن، عندما عاد بعض الرجال البيض بخبراتهم مع تلك المخلوقات فى تلك المناطق، أصبحت روايات الهنود الحمر أكثر قبولا.

وعندما قامت جريدة المستعمر البريطانى، التى كانت تصدر فى ييل، بكلومبيا البريطانية، بنشر موضوع عن ذلك الكائن الغريب فى ٣ يوليو ١٨٨٤، تقدم العديد من الذين لديهم رواياتهم عن ذلك المخلوق، بتفاصيل جديدة.

ونشرت الجريدة بعد ذلك، كيف أن فريقًا من العاملين فى مد خطوط السكك الحديدية، رأوا مخلوقًا يرقد إلى جوار قضيب السكة الحديد، عند منخفض عميق، على بعد ٢٠ ميلاً من ييل. تمكن السائق بصعوبة من إيقاف القطار فى اللحظة الأخيرة، وهبط الرجال للإمساك بذلك المخلوق، الذى حاول الهرب، منزلقًا على الحافة الصخرية.

عندما فشل الرجال فى الإمساك به، دون أن يلحقوا ضررًا بأنفسهم، قفز أحد الرجال فوقه، وضربه على رأسه بحجر، فأفقده الوعى. ثم جرى تقييد المخلوق وتكبيله بحبل، ووضعه فى عربة البضائع بالقطار.. وقد تجمع حشد كبير لمشاهدته، عندما وصل القطار إلى غايته.

خلال يوم أو يومين، استعاد جاكو صحته تمامًا، و(جاكو) هو الاسم الذى أطلقه الأهالى على المخلوق الغريب.. كان يبدو كإنسان صغير، ينمو شعر حريرى أسود على جسده، فيما عدا الكفين والقدمين والوجه. كان يمشى على قدميه، ويبلغ طوله أربعة أقدام وعشر بوصات، أما وزنه فقد وصل إلى ١٢٧ رطلاً. ومن المؤسف أن جاكو سمح له بعد وقت أن يمضى بصحبة عازف متجول، ولا يدرى أحد ما حدث له بعد ذلك.

من الوصف الذى أعطى لجاكو، يرجح أنه كان صغير السن، لم يكتمل نموه بعد. ولا شك أن لون شعره كان سيتغير إلى البنى الداكن، مع مرور السنين.

المخلوق المقتحم:

ثم واقعة أخرى جرت فى صيف عام ١٩٤١. كان السيد تشابمان وزوجته وأطفاله الصغار الثلاثة يعيشون فى بيت خشبى، بالقرب من مدينة صغيرة تسمى (روبى كريك) على نهر فريزر، على بعد ٢٢ ميلا جنوب البقعة التى عثر عندها على جاكو إلى جوار قضيب السكة الحديد عام ١٨٤٤.

كان السيد تشابمان يعمل موظفًا فى السكة الحديد، وكان عمله يقتضى منه أحيانًا القيام برحلات، يترك فى أثنائها لزوجته أمر رعاية الأطفال: ولد فى التاسعة، وبنتان أصغر.

من خارج البيت، أقبل الطفل مندفعًا نحو أمه وهو يلهث قائلا إن حيوانًا كبيرًا يتحرك بين الشجيرات القائمة عند حدود الحقل الخلفى للبيت. أطلت الأم حيث أشار ابنها، وقالت إن ذلك الذى يتحرك بين الشجيرات لا يخرج عن كونه دبًا.. لكنها ما لبثت أن تراجعت عن ذلك القول، عندما اندفع ذلك المخلوق خارجًا من بين الشجيرات، ليظهر لها كاملا..فوجدته ماردًا يكسوه الشعر، على شكل إنسان، يمشى ببطء متجهًا نحوهم..

هرب الأطفال، ومن خلفهم الأم التى كانت متمهلة فى سيرها، حريصة على معرفة كنه ذلك المقتحم.. رأت بوضوح أن جسمه كان يغطيه شعر أشعث أو فرو، وأنه يسير منتصبًا، وأن له وجهًا آدميًا!

الغوريلا العملاقة، التى يصل طولها إلى مترين، وضعت بعد قتلها بهذه الطريقة لتصويرها.

فى الوقت الذى كان فيه الأطفال يهربون تجاه الشاطئ، ومن خلفهم الأم، اقتحم المخلوق البيت، وانشغل بنبش محتوياته، مُنهيًا الزيارة بفتح برميل مملوء بالسمك المملح، وبعثرة السمك فى أنحاء ساحة البيت.

وقد قدرت السيدة تشابمان طول المخلوق المقتحم بسبعة أقدام ونصف، أو ثمانية، وقد ظهرت آثار أقدامه فى الوحل حول البيت، أشبه بأقدام بشرية عارية عملاقة.. مع فارق أن الإصبع الثانى للقدم أكبر من الإصبع الكبير.. كما أن بعض شعرات بنية من رأس المخلوق علقت فى الحلق العلوى لباب البيت، مما يؤكد التقدير الذى أعطته السيدة تشابمان لطوله..

الذى حدث بعد تلك الواقعة، هو أن عائلة السيد تشابمان انتقلت مباشرة إلى بيت أقرب للمدينة.

الكف العملاق:

وأحدث من ذلك، ما جرى مع الحطاب روبرت هاتفيلد، الذى كان يعيش فى مدينة كريسينت، بولاية كاليفورنيا.

ففى أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٦٢، كان فى زيارة لأحد أصدقائه، السيد باد جينكينز، الذى يسكن على بعد أربعة أميال من فورت براج.. سمع هاتفيلد كلب جينكينز ينبح نباحًا قويًا متتابعًا، يكشف عن رعبه، فخرج من البيت ليرى ذلك الذى يزعج الكلب.. وفى آخر الساحة، على بعد حوالى ٦٠ قدمًا من المكان الذى يقف فيه، رأى ماردًا يكسو الشعر جسده بالكامل، له وجه

أشبه بوجه الإنسان، يتطلع إليه عبر السور.. كان رأس المارد وصدره يظهران فوق السور، مما يؤكد أن ذلك المارد يزيد طوله عن سبعة أقدام.

فى البداية، ظن هاتفيلد أنه ينظر إلى دب ضخم، أضخم دب رآه فى حياته.. اندفع إلى داخل البيت، طالبًا من مضيفه جينكينز أن يخرج معه ليرى ذلك المخلوق. خرج الرجلان بسرعة، فلم يجداه فى المكان الذى شاهده فيه هاتفيلد.. تلفت هاتفيلد باحثًا عنه، وانطلق يعدو حول ركن البيت باحثًا عن المارد، فاصطدم به!.. انكفأ على وجهه، ثم أسرع ينهض ويعدو، طالبًا من جينكينز أن يدخل البيت ليحتميا فيه، وهو يتمتم «إنه نصف إنسان ونصف وحش!».

عندما أسرع هاتفيلد إلى البيت، لاحقه المخلوق.. دخل هاتفيلد إلى البيت وحاول إغلاق الباب، لكن المخلوق كان على الجانب الآخر من الباب، يحاول فتحه.. وبلغ من قوة ذلك المخلوق أن فشل الرجلان معًا فى إغلاق الباب .. للحظات خف ضغط المخلوق على الباب، أسرع جينكينز بإحضار مسدسه، وراح يزوده بالرصاص، وعاد إلى الباب ليواجه المارد، فيجده قد اختفى.. تاركًا آثار قدميه العملاقتين حول البيت وعند المدخل، وكذلك آثار كفه الملطخ بالوحل على حوائط البيت البيضاء، كانت هذه الآثار هى الدليل المادى على صدق رواية الرجلين.. وقد تم تصويرها جميعًا، ووجد أن عرض الكف ١١ بوصة، ومن آثار القدم، تبين أن ذلك المخلوق كان قد فقد إحدى أصابع قدمه!

أيهما أصعب؟

رغم أن البحث عن هذه المخلوقات لم يتوقف فى أنحاء عديدة من العالم، فما زال الغموض يحيط بها. البعض ينظر إليها كأساطير خرافية، إلا أن علماء التاريخ الطبيعى يؤمنون بأن الأرض ما زالت تضم العديد من الكائنات التى لم يتم الكشف عنها.

لقد نظر الناس إلى غوريلا الجبال - مثلا - باعتبارها من نسيج الخيال، إلى أن تم اكتشافها فى بداية القرن العشرين.. وأيضًا، لم يعرف الناس حيوان الباندا الشهير إلا فى ثلاثينيات القرن الماضى، عندما وصل إلى حديقة حيوان شيكاغو.

العلماء يتساءلون: إذا كانت هذه الحيوانات موجودة، فلماذا لم نعثر على بعض عظامها، أو جانب من جلودها؟ ومع ذلك فسجل هذه المخلوقات حافل بالمشاهدات والإثباتات من جميع أنحاء العالم.. هل يمكن أن تكون جميع هذه المشاهدات مزورة، أو من نسج الخيال؟.. هل من المعقول أن يعمد المزورون إلى تزييف آثار أقدام المخلوقات على الثلوج، عند قمم ترتفع أكثر من ٢٠ ألف قدم؟

من أسهل الأمور رفض الأدلة وإدانتها، لكن الأصعب من هذا دراستها دراسة جادة للوصول منها إلى يقين واضح.

المخلوقات الأسطورية

وكأنما الغموض الذى يثار حول المخلوقات التى لم يتم التثبت من وجودها لم يكن كافيًا، عمد البشر على مدى التاريخ إلى اختراع حيوانات ووحوش خرافية أسطورية، وحاكوا حولها القصص الطويلة، الممتعة رغم ما تضيفه من ارتباك!

ومن أشهر هذه الكائنات الأسطورية التى تفتَّق عنها خيال البشر، التنين الشهير، وعروس البحر بروايات الإغراء التى تلعب دور البطولة فيها، وأيضًا تلك الصورة المهجنة لأحادى القرن الذى يطلق عليه بالإنجليزية UNICORN، وهو - بالطبع - غير وحيد القرن أو الخرتيت الذى نعرفه.

هذه المخلوقات الأسطورية، تجسد أحلام وأمانى ومخاوف البشر.. إنها أقرب إلى الأعمال الفنية، التى يستكمل بها الإنسان ما يشعر به من نقص، تجاه الواقع الذى يعيشه. هكذا الإنسان دائمًا، لا يكتفى بما هو كائن من مخلوقات لا نعرف لها حصرًا، ولم نصل إلى معرفة وجود بعضها حتى الآن، فيعمل خياله ليسد احتياجاته العاطفية بمخلوقات أسطورية.

التنين.. أشهر الأساطير:

لعل التنين هو الأكثر شيوعًا من بين المخلوقات الأسطورية. فعلى مدى القرون، وعلى اتساع الممالك والشعوب، شاعت أسطورة التنين فى الفن والعقائد. ومار جرجس (أو القديس جورج عند الأوروبيين)، هو بطل إحدى الروايات حول ذلك المخلوق الرمزى.

من بين الروايات، ما صدر عن أهل مدينة (سيلين)، والتى هى ليبيا فى وقتنا الحاضر، الذين عاشوا فى رعب دائم من تنين شرير، خارج أبواب مدينتهم. لقد نجحوا فى استرضائه أول الأمر ببعض الماشية التى كانوا يدفعون بها إليه كطعام يومى.. لكن مطامعه تجاوزت هذا، فطلب إنسانًا يأكله مع الخراف.. لكن يبدو أن هذا لم يكن كافيًا، فطلب أن يكون الإنسان عذراء صغيرة السن!

وهكذا، طلب حاكم المدينة من العذارى أن يتجمعن أمام قصره كل يوم ليختار من بينهن - بالقرعة - من يضحى بها للتنين الشرير. وذات يوم وقعت القرعة على ابنته الجميلة الأميرة صبرا.. حاول أن يقنع شعبه بصرف النظر عن هذا الاختيار، لكنهم أصروا، وقالوا له: أنت الذى وضعت القاعدة، ولا بد أن تلتزم بها.

وكالعادة فى مثل هذه الحكايات الشعبية، ظهر فى اللحظة الأخيرة فارس غريب على ظهر حصانه، كان من مملكة ليديا فى

طريقه إلى الإمبراطور الرومانى ديوكليتيان، ليرجوه عتق المساجين من الأسرى المسيحيين.. وكالعادة، يندفع الفارس، فيقتل التنين بحربته، وينقذ الأميرة..

قصة الأمير المسيحى والتنين، شاعت بأشكال مختلفة فى أوروبا لتصور انتصار الديانة المسيحية على قوى الظلام.

وأساطير التنين تجد تنوعًا لها فى مختلف بلاد الأرض، من إنجلترا إلى الصين، حيث يمثل التنين فيها مبدأ الخصوبة.. فهو يولد كل ربيع من بيضة تحت الماء، فينمو وينتعش، كما يحدث مع الطبيعة فى ذلك الفصل. ومع ازدهار علم النفس، كثرت التفاسير لدوافع خلق أسطورة التنين. وطبيعة التنين، تختلف من شعب لآخر، فالتنين فى الصين - وعلى عكس صورته فى الغرب - تجتمع فيه كل معانى الرقة ودماثة الخلق.. وبالضبط كما فعل القدماء فى رسم صور آلهتهم، لتجمع بين المعالم البشرية والحيوانية، حتى يكونوا أقوى من البشر والحيوانات معًا، عمد القدماء لرسم صورة التنين مستخلصة من خليط من المخلوقات، لتحقيق صفة التفوق.. فاختلف تكوين التنين فى مكان عن الآخر.. فتنين الهند مستوحى من الفيل، وتنين الصين من الأيل، وتنين أوروبا الغربية من الزواحف..

كذلك اختلفت الشعوب فى مصدر التنين، من تحت الأرض، أو فوقها، مجنح يطير، أم يطفو على سطح الماء.. وفى أحيان كثيرة، تغير الأسطورة فى مقامه، فتنقله من مجال إلى آخر.

التنين والفارس، من واقع الأسطورة الإنجليزية.. حفر على الخشب.

عروس البحر:

ذات يوم صيف دافئ، عند نهاية القرن التاسع عشر، كان المدرس وليم مونرو يمشى على امتداد شاطئ ولاية كيثنيس بإسكتلندا.. عندما أبصر فجأة جسدًا يشبه امرأة عارية تجلس على صخرة فى الماء، بعد خروجها من الماء. ولولا أن مونرو كان يعلم بالخطورة الكبيرة فى السباحة من الشاطئ إلى تلك الصخرة، لتصور الجالسة من البشر.. لكنه مع إطالة النظر وتدقيقه، اكتشف شيئًا غريبًا فى المرأة التى يختفى نصفها السفلى فى الماء، وهى تسوى خصلات شعرها الطويل بذراعيها..بعد عدة دقائق، اختفت المرأة تحت الماء.

ظلت هذه الواقعة مستأثرة بفكر وليم مونرو، فكتب قصة ذلك اللقاء بالتفصيلات الدقيقة، ونشرت القصة جريدة «التايمز» اللندنية.. وقال إنه سمع العديد من قصص مشاهدات الآخرين لكنه لم يكن يصدق.. إلا بعد أن رأى عروس البحر بعينيه!.. وناشد الهيئات العلمية أن تأخذ الأمر مأخذ الجد، وتتنازل عن شكوكها التقليدية.

يقول الكاتب أنجاس هول «هذه الحكاية تظهر أن الاعتقاد بوجود عروس البحر (ميرميد)، لا يقتصر على البحارة أنصاف العقلاء خلال رحلاتهم الممتدة فى المحيطات.. الحقيقة أن عروس البحر - شأنها شأن التنين - تبدو كما لو كانت رمزًا عالميًا.. فقد حكى الناس عن رؤيتها والعثور عليها فى كثير من بلاد العالم.. وفى تلك البعيدة عن البحار والمحيطات، يختلقون

موطنًا لعروس البحر فى النهر أو البحيرة. وهى - كالتنين - تلبى احتياجًا كامنًا عند البشر.. ويرى بعض علماء النفس أن عروس البحر بجمالها، وبمخاطر الغوص معها، ترمز إلى اختلاط الجنس بالموت..».

وقد عرفت عرائس البحر بنزعة الانتقام القوية لديهن، إذا ما تعرضن لإيذاء من أى نوع، وهناك العديد من الروايات التى تصور هذه النزعة. ويرجح الدارسون أن هذه الفكرة نبعت من الخيالات الجنسية للرجال، حول مخلوق غير مستأنس، لا ينشغل سوى بإشباع رغباته. وفى مجال هذه الرمزية الجنسية، يوجد من الأفكار والتفسيرات ما هو أكثر شرًا، وفيها يقال إن عروس البحر ما هى إلا ملاك ساقط، لا يأكل سوى اللحم الحى.. فهى تتصيد البحارة بغنائها وموسيقاها الحلوة. وإذا ما فشلت طريقة الإغواء هذه، والتى غالبًا ما تعتمد عليها، اعتمدت على رائحة جسد فريدة فى نوعها، لا يستطيع أى رجل أن يقاومها. بمجرد أن توقع صيدها فى حبائلها، راحت تهدهده حتى ينام، ثم تبدأ فى تقطيعه بأسنانها الشائكة الخضراء!

وهناك الأسطورة الأقل عنفًا، والتى تقول إن عرائس البحر من الجنسين تعيش فى مملكة شديدة الثراء تحت الماء.. وهناك تأخذ عروس البحر ضحيتها، ليعيش هناك كسجين. ومن هذه الرواية، نبعت عقيدة البحارة التى تقول إن مشاهدة عروس البحر تعتبر فألاً سيئًا، ونبوءة مشئومة.

وجذور أسطورة عروس البحر، عرفتها العديد من الحضارات القديمة الكبرى.

فى الحضارة البابلية، الآلهة السمكية كانت ترتبط بالشمس والقمر.. أونيس الذى كان يمثل الشمس، كان له شكل آدمى، لكنه كان يرتدى رأس سمكة كغطاء رأس، وجلد سمكة كرداء.. وهو سريعًا ما يستبدل بإله سمكة آخر (إيا)، الذى كان نصف إنسان ونصف سمكة. وقد اعتقد البابليون أن الشمس والقمر عندما ينهيان رحلتهما عبر السماء، يغطسان فى البحر. وهكذا، يكون من المناسب أن يكون شكل إله الشمس وإله القمر، محققًا لإمكان وجودهما فوق وتحت الماء.

كذلك نجد شبيهًا لأسطورة عروس البحر فى الحضارة الإغريقية، حيث كان يطلق على عرائس البحر اسم (التريتونات)، والتى كانت أيضًا نصف امرأة ونصف سمكة، وكانت تستطيع التحكم فى حالة البحر، تجعله وديعًا هادئًا، أو ثائرًا عاصفًا.

أما (أبساراس) حورية البحر الهندية، فرغم شكلها البشرى، فإنها كانت تشترك فى كثير من صفاتها مع عرائس البحر الأخرى. فإلى جانب جمالهن، ورائحتهن العطرة، كن عازفات موسيقى ماهرات، وخاصة على آلة العود، وكن يشتركن مع عرائس بحر أخرى، بالقدرة على التنبؤ، وكشف أسرار الغد، لكنهن ينفردن بكونهن عطوفات ودودات نحو الرجال، يسعين إلى إسعادهم.

وبعد انتشار المسيحية، اكتسبت أسطورة عروس البحر توجهًا جديدًا، بحيث قامت قصتها على افتراض أنها تبحث لنفسها عن روح إلى جانب الجسد. ووفقًا للفكرة المسيحية، لا تنال عروس البحر الروح التى تنشدها إلا إذا وعدت بالحياة على الأرض، مستبعدة أى احتمال للعودة إلى البحر.

وفى كثير من الأزمنة والأمكنة، ارتبطت الفقمة (عجل البحر) بأسطورة عروس البحر، نتيجة للخصائص البشرية فى تركيب الفقمة.. ويميل الكثيرون إلى القول بأن مصدر مشاهدات عروس البحر كانت فى حقيقة الأمر مشاهدات للفقمة. والفقمة تظهر كثيرًا فى تراث أساطير عروس البحر، كرفيقة أو صاحبة لها.

أهل إسكندنافيا، وإسكتلندا، وأيرلندا، لديهم العديد من القصص حول «البشر ـ الفقمة»، أو البشر الذين أرغموا على العيش تحت الماء كما الفقمة، والذين فى أحوال خاصة لا يستطيعون العودة إلى صورتهم البشرية، ومن ثم العودة للعيش فوق الأرض. البعض يعتقد أنهم ملائكة سقطت من السماء، بينما يعتقد البعض الآخر أنهم أرواح البشر الذين غرقوا، أو الذين لحقت بهم لعنة ما!

مع شيوع قصص عروس البحر، كان لا بد أن تظهر محاولات الغش والتزوير.. عرائس البحر المزيفة عادة ما كانت تتركب من النصف العلوى لقرد، موصول بذيل سمكة!.. إحدى هذه القطع المزيفة، صنعت فى الغالب خلال القرن السابع عشر، جرى

عرضها فى معرض خاص لنماذج التزييف، بالمعرض البريطانى بلندن عام ١٩٦١. ومعظم هذه القطع المزيفة التى كان قصد بها أن تكون عرائس بحر، كانت قبيحة للغاية، ومع ذلك فقد أثارت قدرًا كبيرًا من اهتمام الجمهور.

واليوم، رغم أننا قد لا نجد إلا عددًا محدودًا للغاية من الذين يعتقدون فى حقيقة أسطورة عروس البحر، إلا أنه من الواجب الاعتراف بالقدر الواسع من اهتمام البشر بها، فى أزمان وأماكن متباينة.. لقد كانت الأسطورة قوية ومنتشرة فى أنحاء العالم ـ كما كان الحال مع التنين ـ لتشكل جانبًا من الخيال اللاشعورى للإنسان. وهذا القول ينسحب أيضًا على أسطورة أخرى غريبة، هى أسطورة أحادى القرن، أو اليونيكورن.

من العنزة إلى الحصان إلى الثعبان!

وهناك أيضًا المخلوق الخرافى المعروف باسم «اليونيكورن» أو أحادى القرن.. والذى جمع فى أساطيره بين العديد من الحيوانات، لكنه تميز عنها جميعًا بقرنه الوحيد الطويل النابت من جبهته.

أحيانًا، يكون قريب الشبه بحيوان معين، مثل عنزة، أو حصان، أو حتى ثعبان، وأحيانًا يجمع خصائص العديد من الحيوانات.. فى الغرب يوصف بأنه يميل إلى العنف، وأنه غير قابل لأن يستأنس، كما أنه يميل إلى الوحدة والعزلة.. ولكن، فى الصين يوصف بأنه مسالم وديع، يجلب الحظ الجيد.

«اليونيكورن» الأسطورى، فى الأسْر، كما تصوره سجادة فرنسية من العصور الوسطى.

ومثل غيره من الحيوانات الأسطورية، يوفر اليونيكورن مجالاً خصبًا للتفسيرات الرمزية.. فيقال إن القرن الوحيد يشير إلى الخصوبة والقوة الملكية فى نفس الوقت، وهو أيضًا رمز للنقاء، فى بعض الأساطير. وأحادى القرن يجمع بين خصائص الذكر والأنثى، بقرنه الذكورى، وجسمه الأنثوى.. اسمه فى اللغة الصينية (كى ـ لين)، والتى تعنى: (ذكر ـ أنثى).

ولقد جاءت أول إشارة إلى أحادى القرن فى الغرب، فى كتاب عن الهند، كتبه المؤرخ الإغريقى ستيسياس، فى عام ٣٩٨ قبل الميلاد. وقد جاء جانب من وصفه كما يلى:

«يوجد بالهند نوع خاص من الحمير المتوحشة، الكبيرة والتى تصل فى حجمها إلى حجم الحصان، أو أكبر.. أجسامها بيضاء، ورءوسها حمراء داكنة، وعيونها داكنة الزرقة. كل واحد منها لديه قرن فى جبهته يبلغ طوله قدم ونصف..».

ومن الواضح أن المؤرخ الإغريقى اعتمد فى أوصافه على ما وصله من روايات الرحالة. وأوصاف أحادى القرن، أو اليونيكورن، تفيد أنه خليط من الخرتيت، وظبى جبال الهيمالايا، والحمار الوحشى. ويضيف المؤرخ قائلاً: إن المسحوق الناتج عن كحت ذلك القرن يستخدم كترياق ضد السموم، وأن من يتاح له أن يستخدم القرن ككوب، ويشرب منه، يحمى نفسه من التشنج والتسمم.

هذه الأفكار التى نقلها المؤرخ الإغريقى إلى الغرب، ظلت باقية، يتناقلها الناس حتى العصور الوسطى، وقد دفع الأغنياء وأصحاب النفوذ أثمانًا باهظة، ثمنًا لأوعية شرب أو أكواب قيل إنها مصنوعة من قرن اليونيكورن!

وحوش أسطورية مصنوعة!

ظهرت الوحوش الأسطورية فى الأعمال الفنية منذ أكثر من ١٥٠ سنة.. عندما سافرت مارى الفتاة الإنجليزية، والتى كانت فى الحادية والعشرين من عمرها إلى سويسرا فى عطلة، مع زوجها الشاعر الشهير بيرسى شيللى.. كانا يقيمان على ضفاف بحيرة جنيف، مع شاعر شهير آخر هو لورد بايرون.. وخلال ليالى الشتاء كانت المجموعة تسهر إلى جوار المدفأة، مع طبيب صديق، يسلّون أنفسهم بقراءة قصص الأشباح من التراث الألمانى..

وذات ليلة ممطرة، اقترح عليهم لورد بايرون، أن يحاولوا جميعًا أن يكتبوا - على سبيل التسلية - قصة رعب حقيقية.. والفائز هو الذى يستطيع إفزاع الباقين أكثر من غيره. مضت اللعبة لعدة ليال، وكانت مارى تسمع - ليلة بعد أخرى - ما يحكيه الشاعران عن طبيب إنجليزى يقال إنه استطاع أن يضع فتائل من العجين (كالشعرية) فى وعاء زجاجى، ويجعلها تتحرك بإرادتها، بوسائل غير عادية.. وفى نقاشهم قال أحدهم: «ربما أمكن جمع أعضاء شخص، وشحنها بطاقة خاصة، لكى يتحرك من تلقاء نفسه».

علقت الفكرة فى عقل الفتاة مارى، وذات ليلة استعصى عليها النوم، فشاهدت فى خيالها صورًا متتابعة، وكأنها مشاهد فيلم يعرض أمامها.. قالت عن ذلك:

« رأيت، وأنا مغمضة العينين، ولكن من خلال صور عقلية واضحة، طبيبًا شابًا شاحب اللون، ينكفئ على الشىء الذى جمع أجزاءه.. شبح مخيف لجسد رجل ممدد.. ثم استعان الشاب بتشغيل جهاز غريب، فبدأ الشبح الممدد يحرك أعضاءه ببطء.. وقد ظهر الخوف على الشاب، وهو ما يتوقعه المرء عندما يحاول أى بشر، بوسائل ساذجة، محاكاة خالق الكون..».

فى تلك الليلة، خرجت أسطورة المخلوق الذى عرف باسم صانعه «فرانكنشتاين»!

كان الطبيب الشاب الوهمى يحمل اسم البارون فيكتور فرانكنشتاين، واستطاعت مارى من خلال شخصيته أن ترسم أحداث قصتها الكاملة، التى ظهرت فى كتاب واسع الانتشار تحت عنوان «فرانكنشتاين، أو بروميثيوس الحديث».

واتسعت شهرة هذا الكائن الأسطورى، عندما قامت هوليوود بإخراج فيلم «فرانكنشتاين» عام ١٩٣١، الذى قام ببطولته بوريس كارلوف، الذى لم يكن معروفًا فى ذلك الحين. وبعد أربع سنوات، ظهر الجزء الثانى من ملحمة فرانكنشتاين، فى فيلم بعنوان «خطيبة فرانكنشتاين»، وقد حرصت هوليوود كعادتها

على إضافة عنصر جنسى، أو حسى على أقل وصف، إلى الفيلم الذى قامت ببطولته الممثلة إلسا لانشستر، مع بوريس كارلوف.

من فرانكنشتاين إلى كينج كونج:

مع الإيرادات العالية التى حققتها أفلام الوحش الآدمى فرانكنشتاين، اندفع صناع الفيلم الأمريكى، كعادتهم، إلى البحث عما يحقق المزيد من الإيرادات، فانتقلوا من الوحش الأسطورى الآدمى إلى الوحوش الأسطورية الحيوانية، التى كان أشهرها «كينج كونج».. وشجعهم على ذلك كثرة ما ينشر من تقارير تقول بوجود حيوانات عملاقة حتى الآن، فى الأماكن البعيدة المهجورة.

وكعادة السينما الأمريكية، كان لا بد أن تمزج إثارة الرعب، بإثارة الجنس..فكانت هذه الغوريلا العملاقة تعمل لحساب طبيب مجنون.. وكانت مهمتها خطف فتاة تأتى بها للطبيب لكى يستخدمها فى تجاربه «غير الأخلاقية»!

جرى عرض الفيلم عام ١٩٣٣، وكان المنتج محقًا فى توليفته التى أصر عليها، وحقق فيلم كينج كونج أرباحًا غير مسبوقة..

يقول الباحث أنجاس هول: ويوجد على الأقل فيلم وحوش واحد، جاء خاليًا من عنصر الجنس، كان ذلك عام ١٩٢٥، وكان مستمدًا من رواية «العالم المفقود» للكاتب الكبير سير آرثر كونان دويل. وكان دويل قد كتبها قبل ذلك بحوالى ١٣ سنة، فى أعقاب قراءة كتاب لعالِم الحيوان البرفيسور راى لانكستر، يدور حول الحيوانات المنقرضة التى عاشت ذات يوم على سطح الأرض.

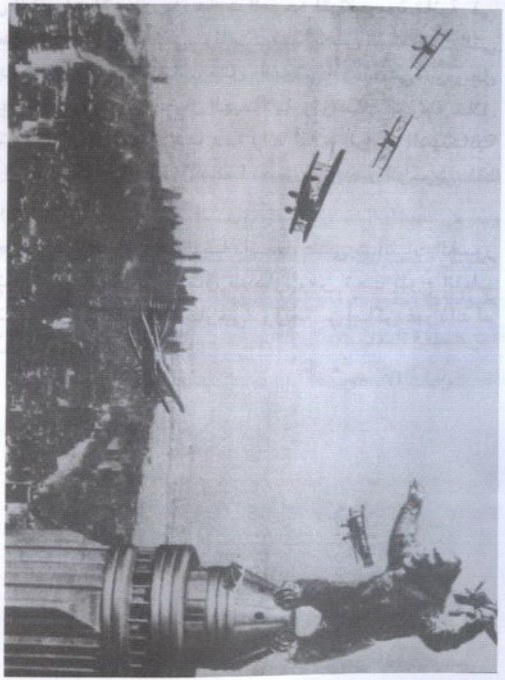

«كينج كونج» الغوريلا العملاقة، فى فيلم سينمائى فوق ناطحة السحاب، تحطم القاذرات!

وبعد أن نسيت السينما الأمريكية قليلاً أفلام الرعب القائمة على الكائنات الأسطورية، عادت الموجة لترتفع مرة ثانية، فى خمسينيات القرن الماضى.. وظهرت فيها بعض المخلوقات التى أوردناها فى هذا الكتاب، مثل «اليتى»، و«نيسى»، و«رجل الثلج» الذى يعيش فى جبال الهيمالايا. وتواصلت الموجة خلال الستينيات وما بعدها.. مما دعا رائد أفلام الرعب السينمائية ألفريد هيتشكوك إلى القول بأننا نعيش فى عصر الوحوش، فقد قال هيتشكوك:

«نرى الوحوش حولنا دائمًا، على شاشات الصور المتحركة.. قادمة من أعماق البحار، ومن تحت ثلوج القطب المتجمد، أو من الفضاء الخارجى.. وربما من أماكن غير ذلك لم نكتشفها بعد..».

المحتوى

مقدمة ٣
الوحوش... أساطير وحقائق ٣
وحوش أعماق البحار ٥
وحوش البحيرات ٢٧
حيوانات منقرضة تعود إلى الحياة! ٥١
لغز الحلقة المفقودة ٧٣
المخلوقات الأسطورية ١٠٣

سلسلة عجائب (٦)

أعجب الكائنات

قلة من علماء الأحياء يتصورون أننا قد وصلنا إلى معرفة جميع الكائنات، التى تدب على الأرض، وتختفى فى الأدغال والجبال، وتغوص فى أعماق البحيرات والمحيطات.. وما زالت الكشوف العلمية تكشف لنا أسرار الكائنات التى كنا نقرأ عنها فى الروايات ونعرف عنها من الأساطير.

- سمكة الشيطان التى قتلت الصبى مادا فى جزر المالديف.
- الصراع المثير بين الحبار العملاق الكامن فى أعماق المحيط وحوت العنبر الضخم.
- «نيسى»، أشهر وحوش البحيرات، برأسه الضخم، وحدباته الثلاث.
- ما هو سر الحيوانات المنقرضة، كالماموث، التى عادت إلى الحياة لتثير حيرة العلماء؟
- الهنود الحمر يحملون فى قاربهم خروفًا، يلقونه كضحية لوحش بحيرة أوجو بوجو الكندية.
- «إيسى» الوحش اليابانى فى بحيرة إيكيدا، وأسطورة فرسة الساموراى البيضاء المنتحرة!
- وحش الأدغال الإفريقية «ناندا» اغتال الجندى حارس السوق.
- فى بورما، ابتلع الثعبان الضخم الصياد بأكمله.. ما عدا القبعة والحذاء!
- نمر كوينز لاند بأستراليا ينشر الرعب بين الأهالى والمستوطنين.
- الفأر الذى ورث الأرض بعد انقراض الديناصورات!
- إنسان الثلج البغيض الذى يعيش فى جبال هيمالايا.. هل هو الحلقة المفقودة؟
- التنين الأسطورى، وفيض من الحكايات الخيالية.
- فرانكشتين وكينج كونج وكائنات أسطورية تستثمرها السينما الأمريكية.

الناشر

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
٧٫٠٠